

الأستاذ لزهة مساعدي

# نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي



دار الحديث لدونية





ISBN : 978-9961-52-501-2



9 789961 525012

## دار الخلدونية

05 شارع مسعودي محمد - القبة القديمة - الجزائر

ه/ف : 021.68.86.48 ه : 021.68.86.49

email : khaldou99\_ed@yahoo.fr

الأستاذ لزهر مساعدي

# نظرية الاغتراب من المنظورين العربي والغربي



دار الحديث لدونية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الطبعة  
1434هـ - 2013م

## حقوق الطبع محفوظة

يُمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والنقل والتصوير والترجمة والتصوير المرئي والمسموع والحاسوبي.. وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من المؤلف ومن :



دار الخلدونية

دار الخلدونية للنشر والتوزيع

5، شارع محمد مسعودي - القبة القديمة - الجزائر.  
هـ/ف : 021.68.86.48 - م : 021.68.86.49  
البريد الإلكتروني : khaldou99\_ed@yahoo.fr

الإيداع القانوني : 243 - 2013

ردمك : 2 - 501 - 52 - 9961 - 978

إهداء:

إلى أبيي الكريم، أتمنى له الشفاء العاجل.

إلى أمي الحنونة.

إلى إخوتي الأعزاء.

إلى كل أصدقائي وكذا زملائي في العمل.

إلى طلبي المتزمين.

أهدي لهم عملي المتواضع هذا.

عنتر



## مقدمة :

رسالة الأدب رسالة ولا أعظم، والطريق أمام الأديب طريق ولا أشق وأصعب. تلك الطريق التي يسلكها لكي يعطينا أفكاره وآراءه عن العالم المحيط به، فتصبح أفكاره تلك مرآة تعكس لنا أحاسيسه وعواطفه في قالب فني يدغدغ مشاعرنا ويحرك أحاسيسنا.

تعد ظاهرة الاغتراب سمة من سمات الوجود الإنساني، وهي قديمة قدم الإنسان بإجماع الدارسين، ولا تَمس شخصا دون آخر ولا جيلا دون جيل.

فالاغتراب ظاهرة قد عاشها الكثيرون ومروا بها منذ أقدم العصور، حيث أجبرتهم في الغالب على الاستسلام، وقادتهم في أحيان أخرى إلى التمرد والعصيان والثورة، فالبعض قد عانى الاغتراب الطبقي الذي عبرت عنه انتفاضات العبيد أيما تعبير. كما أن البعض رفض القيم السائدة في مجتمعه وسعى إلى استحداث قيم جديدة. والبعض الآخر أوقعته الحروب وأهوالها في الأسر ففقد الوطن وفقد معه الحرية فاغترب أيما اغتراب.

ويمكننا أن نحدد مجال الاغتراب في قسمين بارزين هما:

الاغتراب عن الوطن (لأي سبب من الأسباب).

الاغتراب داخل الوطن (الاغتراب عن المجتمع).

وكما لا يخفى على أحد بأن الشعر أقدر الفنون على استيعاب مختلف الظواهر والتعبير عنها تعبيرا فنيا رائعا. لذلك كان من أهم الوسائل التي عبر بها الشعراء عن اغتراباتهم، وبه فقط يمكننا معرفة ذلك - خاصة إذا كان زمن الشاعر بعيدا عن زمننا.

ولقد حظي مفهوم الاغتراب في الآونة الأخيرة باهتمام عدد كبير من الدارسين والمفكرين، ففرض نفسه على كثير من أوجه النشاط الثقافي، واحتل مكانة جوهرية في كتب النقد والتحليل الاجتماعي، وظهر كمشكلة بارزة -إن لم نقل كسبب تكون وبروز- في الأعمال الأدبية والفنية، كما شغل حيزا هاما في الدراسات الفلسفية.

وقد أقدنا في بحثنا هذا بمجموعة من الدراسات أهمها:

دراسة ريتشارد شاخنت 'الاغتراب'، ودراسة سميرة سلامي 'الاغتراب في الشعر العباسي'.

وبما أن ظاهرة الاغتراب أصبحت من الظواهر المسترعية لاهتمام المفكرين والكتاب فإننا وجدنا أنفسنا أمام جملة من الإشكالات والتساؤلات أهمها:

ما مفهوم الاغتراب؟

وما أقسامه؟

وما هي بواعثه؟

وكيف يتمظهر ويتجلى؟

وسعينا جاهدين للإجابة عنها وتبسيط الضوء ولو قليلا - على الغموض الذي يكتنف جوانبها المختلفة، بتركيز دراستنا عليها واهتمامنا بها.

وأمام تعدد المناهج وكثرتها فإن المرء ليجد نفسه مجبرا في أحيان كثيرة على الاعتماد على منهج بعينه أو بعدة مناهج وفقا لما تقتضيه طبيعة البحث والدراسة والتي تحتم على الباحث اختيار المنهج الملائم لها في الدراسة.



وكما لا يخفى على أحد بأن الاقتصار على منهج واحد لا يكفي في أحيان كثيرة لإضاعة جوانب موضوع الدراسة، لذلك كان المنهج الذي يحكم دراستنا ويضبط خطواتها هو المنهج الوصفي.

وقد قسمنا البحث إلى فصلين تسبقهما مقدمة وتليهما خاتمة.

وخصصنا المقدمة للحديث عن تمهيد عام للموضوع، وبعدها مبررات اختيار الموضوع، ثم الدراسات التي تناولت هذا الموضوع، فالإشكالات والتساؤلات التي يبحث الموضوع في الإجابة عنها، وأخيرا خطة البحث.

- أما الفصل الأول فتناولنا فيه نظرية الاغتراب من منظور غربي.

-أما الفصل الثاني فكرست الدراسة فيه نظرية الاغتراب من منظور عربي.

وكانت نهاية الفصلين وكانت خاتمة البحث أين حاولنا - من خلالها جمع نتائج البحث.

وعمالا شك فيه أن مجتثنا هذا لا بد وأن تكون به نقائص لأن الكمال لله وحده. نأمل أن نكون قد وفقنا، واستطعنا - من دراستنا هذه - أن نقدم صورة شاملة عن مضمون البحث وبذلك قد حققنا غايتنا التي نصبو إليها. إن أصبنا فمن الله، وإن أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشيطان.

لزهر مساعدية.

خنشلة في 2008 /12 /28



## الاغتراب

توطئة :

تعد ظاهرة الاغتراب ظاهرة إنسانية عامة. وهي قديمة قدم الإنسان، ولا تمس شخصا دون آخر، ولا جيلا دون جيل، فقد عاش الكثيرون هذه الظاهرة، ومروا بتجربة الاغتراب منذ أقدم العصور، حيث أجبرتهم في الغالب على الاستسلام وقادتهم في أحيان أخرى إلى التمرد والعصيان والثورة. فالبعض عانى الاغتراب الطبقي، والذي عبرت عنه انتفاضات العبيد أيا تعبير. كما أن هناك الكثير من المفكرين- في التاريخ الإنساني الممتد- رفضوا القيم السائدة في مجتمعاتهم، وثاروا لتغييرها واستبدالها بقيم أخرى، وربما تعرض مثل هؤلاء في أحيان كثيرة إلى الاضطهاد فهجروا بلدانهم مضطرين، وبذلك عاشوا الأمرين: الاغتراب في الوطن ثم الاغتراب عن الوطن.

ويمكن القول بأن كل أنواع الاغتراب تدخل ضمن هذين النوعين من الاغتراب: الاغتراب داخل الوطن (اغتراب عن المجتمع) والاغتراب عن الوطن (اغتراب الهجرة).

وعلى الرغم من أن مفهوم الاغتراب من المفاهيم الفكرية الحديثة إلا أن جذوره تمتد إلى عصور ضاربة في القدم. ويتجلى ذلك في الفلسفات والكتابات اللاهوتية القديمة، حيث يعتبر آدم أول مغترب، حين هبط إلى الأرض واغترب عن موطنه الأصلي (الجنة) ومنذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا الإنسان يعاني من هذه الظاهرة في شقها السلبي، ويستفيد منها في شقها الإيجابي.

وقد اهتم بموضوع الاغتراب عدد غير قليل من الكتاب والمفكرين حتى أصبح يحتل حيزا واسعا من دراساتهم.

ومهما يكن فالخوض في معرفة دلالات مصطلح الاغتراب يعد مهمة شاقة؛ نظرا لطبيعة المصطلح الزئبقية، ذلك ما استلزم تعدد المعاني التي استخدم بها.

وسنحاول التطرق إلى مفهوم الاغتراب وجذوره وأهم تصورات المفكرين له من المنظور الغربي ثم من المنظور العربي.

# الفصل الأول

## الاغتراب من منظور غربي

### 1 - الجذور اللغوية لمفهوم الاغتراب:

كان لاصطلاح الاغتراب في اللغات الألمانية والفرنسية والإنجليزية عدد من الاستخدامات التي استقرت قبل ماركس وهيكل بوقت طويل، ولا يزال يحتفظ بجانب من الاستخدامات الأصلية<sup>1</sup>.

وسنحاول أن نتطرق إلى أهم المعاني التي استخدم المصطلح في هذه اللغات للدلالة عليها:

إن المقابل للفظ 'أغتراب' أو 'غربة' في اللغة العربية هو اللفظ 'Alienation' في اللغة الإنجليزية، واللفظ 'Aliénation' في اللغة الفرنسية، واللفظ المرسوم هكذا 'Enfremdung' في اللغة الألمانية. وقد اشتق كل من اللفظين الفرنسي والإنجليزي من الأصل اللاتيني 'Alienare'<sup>2</sup>، والذي يعني نقل ملكية شيء ما إلى آخر، أو يعني الانتزاع أو الإزالة. وهذا اللفظ مستمد بدوره من لفظ آخر

<sup>1</sup>. ريتشارد شاخت، الاغتراب، ترجمة: كامل يوسف حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1980، ص63.

<sup>2</sup>. حسن محمد حسن حماد، الاغتراب عند إيريك فروم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1995، ص38.



‘Alienus’ أي الانتماء إلى شخص آخر، أو التعلق به، وهذا اللفظ مستمد في الأخير من اللفظ ‘Alius’ الذي يعني الآخر سواء كاسم أو كصفة<sup>1</sup>.

وقد استخدم اللفظ اللاتيني القديم ومشتقاته في اللغتين الفرنسية والإنجليزية للدلالة على معان عدة أهمها:

#### أ - المعنى القانوني:

يدل الفعل اللاتيني ‘Alienare’ على تحويل شيء ما إلى شخص آخر. وهذا يعني أن ما هو ملك لي وينتمي إلي يصبح ملكا لغيري، وتكون عملية نقل الملكية هذه إما إرادية تتم وفقا لحرية الإنسان وإما جبرية تنتفي معها حرته، وفي هذه الثنائية تكمن السمة الجدلية للاغتراب، وكان أول من استخدم المصطلح اللاتيني ‘Alienare’ للدلالة على هذا المعنى في العصر الحديث هو هوجو جروتوس H. Grotius - (1583 - 1645) الذي امتد بالاستخدام ليشمل أيضا السلطة السياسية، فكما تنتقل الأشياء من شخص لآخر تنتقل أيضا السلطة السياسية من شخص أو مجموعة أشخاص إلى شخص آخر، فلفظ ‘Alienation’ الإنجليزي المشتق من اللفظ اللاتيني ‘Alienatio’ الدال على الاغتراب يفيد قابلية الأشياء والممتلكات بما فيها البشر للتنازل أو البيع، وبالتالي يتضمن هذا المعنى القانوني ‘التشيؤ’ ‘Reification’ أي يصبح الإنسان مجرد سلعة - شيء - قابلة للبيع أو للشراء<sup>2</sup>.

إذن فاستخدام المصطلح بهذا المعنى، يقصد به تحويل أو نقل ملكية شيء ما من شخص لآخر، أو جعل هذا الشيء متميا لشخص آخر.

<sup>1</sup> ريتشارد شاخت، المرجع السابق، ص 63.

<sup>2</sup> - حسن محمد حسن حماد، المرجع السابق، ص 38، 39.

## ب - المعنى الاجتماعي:

يمكن أن يفيد الفعل اللاتيني 'Alienare' معنى التسبب في فتور علاقة ودية مع شخص آخر، أو في حدوث انفصال أو جعل شخص ما مكروهاً، كما يمكن أن يشير الفعل 'Alienatio' إلى الوضع الناجم عن حالة الانفصال أو إلى حالة الانفصال نفسها<sup>1</sup>؛ بمعنى أن استخدام المصطلح بهذا المعنى يقصد به حصول شقاق بين طرفين في المجتمع تكون قد ربطتهما علاقة ودية قبل هذا الشقاق، كما يقصد باستخدام مصطلح 'Alienatio' بهذا المعنى ظاهرة الاغتراب نفسها، أو نتيجة هذه الظاهرة.

## ج - المعنى السيكلولوجي:

يرجع أحد الاستخدامات التقليدية لاصطلاح الاغتراب 'Alienation' إلى إنجليزية العصر الوسيط، ضارباً جذوره في اللغة اللاتينية القديمة فبوسع المرء أن يلاحظ بأن لفظ 'Alienatio' يدل على حالة فقدان الوعي.

أو شلل أو قصور القوى العقلية\* أو الحواس لدى المرء، كما هو الحال في نوبات الصرع أو ما يقع نتيجة لصدمة قوية<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - ريتشارد شاخت، المرجع السابق، ص 65.

<sup>2</sup> - يرى . أيريك فروم . بأن المعنى القديم للاغتراب قد استخدم للدلالة على الشخص "المجنون" والذي تدل عليه الكلمة الفرنسية "Aliéné" والكلمة الإسبانية "Alienado" كما يرى بأن هذين المصطلحين هما المصطلحان القديمان اللذان يدلان على الشخص "السيكوباتي": أي الشخص المغتراب تماماً في عقله، فالكلمة الإنجليزية "Alienist" تستخدم حتى الآن للدلالة على الطبيب الذي يعالج مرضى الاضطراب العقلي (ينظر: حسن محمد حسن حماد، المرجع السابق، ص 40).

<sup>2</sup> - ريتشارد شاخت، المرجع السابق، ص 64.

فالإنسان يكون مغتربا إذا نأى عن عقله أو عجز عن استخدام حواسه، ومن هذا الاعتبار يبدو أن الاختلال العقلي يمكن أن يكون أشد أنواع الاغتراب جميعا.

#### د- المعنى الديني:

ويتعلق هذا المعنى بانفصال الإنسان عن الله، فيما يتعلق بالخطيئة وارثكاب المعاصي، وقد ورد لفظ الاغتراب في الترجمات والشروح اللاتينية للكتاب المقدس، خاصة في النصوص التي تتحدث عن فكرة الخطيئة<sup>1</sup>. وسنحاول التطرق إلى ذلك أثناء الحديث عن الاغتراب في الكتابات اللاهوتية الأولى مثلما هو الحال بالنسبة لمصطلح الاغتراب في اللغتين الإنجليزية والفرنسية. فقد جرى استخدام مصطلح 'غربة' *Entfremdung* في اللغة الألمانية منذ العصور الوسطى، ويوضح جريم *Grimm* معنى هذا المصطلح باعتباره التغريب أو السطو أو السلب أو الأخذ. فاللفظ الألماني المرسوم هكذا *Fremd* 'يمثل اللفظ اللاتيني *Alienus* الذي يعني الانتماء إلى آخر أو التعلق به، وقد تم استخدام هذا اللفظ في الأصل للإشارة إلى ما هو أجنبي'<sup>2</sup>.

بمعنى أن استخدام المصطلح في اللغة الألمانية يماثل تقريبا استخدامه في اللغتين الفرنسية والإنجليزية، وقد استخدم المصطلح الألماني في ألمانية العصور الوسطى فيما يتعلق بنقل الملكية، إلا أن هذا الاستخدام في اللغة الألمانية كان مختلفا تماما، فالتغريب<sup>3</sup> المتضمن في المصطلح لم يكن ليقتصد به

<sup>1</sup> - حسن محمد حسن حماد، المرجع السابق، ص 41.

<sup>2</sup> - ريتشارد شاخ، المرجع السابق، ص 67.

<sup>3</sup> - ومن بين الشواهد التي أوردها جريم القول بأننا لا ينبغي أن نقوم بتغريب أو انتزاع ممتلكات جيراننا ( ينظر المرجع نفسه والصفحة نفسها ).

النقل القانوني للملكية، إنما تلك الأنشطة التي أوردتها جريم من سطو وسلب وأخذ.

بمعنى أن النقل لا يتم بالطرق المشروعة، لذلك لجأ هيجل إلى استخدام المصطلح المرسوم بالشكل 'Verausserung' بمعنى 'التخارج' للإشارة به إلى المعنى القانوني للملكية، كما استخدم مصطلح الغربة في اللغة الألمانية الوسيطة - حسب شاخت - كذلك بمعنى مماثل لاستخدام مصطلح الاغتراب في اللغة الإنجليزية فيما يتعلق بالاختلال العقلي<sup>1</sup>.

تبدو جميع المعاني، التي استخدم مصطلح 'الاغتراب' للتعبير عنها في اللغات المذكورة، تلتقي وتتشرك في معنى واحد تقريباً، هو انفصال الإنسان، سواء عن شيء ما كالمملكة، أم عن العقل والحواس، أم عن الآخرين، أم عن الله. تلك هي الخلفية اللغوية التي استخدم في إطارها مصطلح 'الاغتراب' أو 'أغربة'.

## 2 - الجذور الفكرية لمفهوم الاغتراب :

### أ - الاغتراب قبل هيجل:

#### \* الاغتراب في الكتابات اللاهوتية الأولى:

يمكن العودة بظاهرة الاغتراب إلى جذورها التاريخية في أفكار العهد القديم، وخاصة في "سفر التكوين" "Genesis" في بداية خلق آدم، وانفصال وتشكل حواء من أحد ضلوعه، ثم هبوطها إلى أسفل السافلين - الأرض - وما جاء في الإصحاح الثاني أن الله قد أخذ واحدة من أضلاع آدم وملاً مكانها لحما، وبنى الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة، وأحضرها إلى آدم "فخلق حواء هو أول انفصال في الكون، أما ثاني انفصال فيكمين في

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 67- 68.

هبوط آدم من الجنة إلى الأرض، وهو أول اغتراب عن الله فقد عصى آدم ربه فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها<sup>1</sup>.

فمفهوم الاغتراب ورد في العهدين القديم والجديد ليعبر عن معنيين<sup>1</sup>:

### - المعنى الأول:

يدل على انقطاع الصلة بين الإنسان والله وحدوث الانفصال بينهما نتيجة لإغراق الإنسان في المعاصي والخطايا.

ويرجع شاخت إلى الترجمات الباطنية القديمة للإنجيل لإيجاد كلمة الاغتراب ليجد في الكتاب المقدس أن القديس بولس يقول في رسالته إلى أهل أفسوس: فأقول لكم وأستحلفكم بالرب ألا تسيروا بعد ذلك سيرة الوثنيين؛ يتبعون مذهبهم الباطل بظلام بصائرهم وقد جعلهم جهلهم غرباء عن حياة الله لقساوة قلوبهم، فلما فقدوا كل حس استسلموا إلى الفجور، فانغمسوا في كل فاحشة مستهترين<sup>2</sup>. فيفسر عبارة "غرباء عن" الواردة في الآية بالانفصال أو الابتعاد عن الله<sup>2</sup>.

وعلق كالفن على رسالة القديس بولس السالفة الذكر مستخدماً مصطلح 'Alientio' في قوله: إن المسيح «أحياناً ونحن أموات بالخطايا، بالنعمة أنتم مخلصون، وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات» يعلق كالفن على كلام القديس هذا قائلاً: «حيث إن الموت الروحي لا يعدو أن يكون اغتراباً للروح عن الله»<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - حسن محمد حسن حماد، المرجع السابق، ص 44.

<sup>2</sup> - ريتشارد شاخت، المرجع السابق، ص 69.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 70.



وإذا ما قارنا هذا الحديث بحديث القديس بولس في رسالته، يتضح بأن مصطلح الاغتراب استخدم للإشارة إلى الانفصال عن الله، وفي هذا المعنى يشير شاخت إلى أن هذا الاستخدام عند علماء اللاهوت لم يأت إلا نادرا.

وقياسا على المعنى الذي أورده شاخت يشير حسن محمد حسن حماد إلى أنه يمكننا العثور في "سفر الزمائر" على نصوص أخرى تفيد المعنى نفسه، إذ جاء في المزمور الرابع والخمسين ما نصه: «اللهم باسمك خلصني، ويقوتك احكم لي، اسمع يا إله صلاتي، أصغ إلى كلام فمي، لأن غرباء قد قاموا على وعثاء، طلبوا نفسي، لم يجعلوا الله أمامهم»، وفي موضوع آخر في المزمور المائة والرابع والأربعين لداود ورد ما يلي: «أنقذني ونجني من أيدي الغرباء الذين تكلمت أفواههم بالباطل، ويمينهم يمين كذب»، فالمعنى المراد دوما هو الانفصال عن الله وانقطاع الصلة<sup>1</sup>.

### - المعنى الثاني:

الصنمية والاعتراب عن الذات؛ ربما تعد فكرة الصنمية فكرة جوهرية في تاريخ مفهوم الاعتراب، فالصنم ما هو إلا خلق الإنسان، وفي عبادة الإنسان له انفصال للخالق عن ذاته وفقدانه لها، إذ يصبح الإنسان يعبد شيئا صنعه بنفسه فيحول بذلك نفسه إلى شيء وينقل للشيء الذي صنعه سمات خاصة به، وبالتالي فبدلا من أن يدرك ذاته كإنسان مبدع خالق، فإنه يجد نفسه خاضعا لشيء جامد من صنيع يديه، ومن ثم فإنه يصير غريبا عن حياته الإنسانية، وعن إمكاناته الخلاقة<sup>2</sup>.

ويشير حسن محمد حسن حماد إلى أن ذلك ورد في العهد القديم في الزمائر وخاصة المزمورين 115، 135، ففي المزمور المائة والخامس عشر

<sup>1</sup> - حسن محمد حسن حماد، المرجع السابق، ص 45.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 45- 46.

وصفت الأوثان بالعجز ووصف صانعوها أيضا بذلك: «أصنامهم فضة وذهب، عمل أيدي الناس، لها أفواه ولا تتكلم، لها أعين ولا تبصر، لها آذان ولا تسمع، لها مناخير ولا تشم، لها أيدي ولا تلمس، لها أرجل ولا تمشي، ولا تنطق بمخارجها مثلما يكون صانعها، بل كل من يتكل عليها»<sup>1</sup>.

يمكننا أن نلخص ما ورد من الحديث عن الاغتراب في الكتابات اللاهوتية الأولى - العهدين القديم والجديد - بأن مفهوم الاغتراب في هذه الكتابات لا يخرج عن: - قطع الصلة بين الإنسان والله؛ بمعنى الاغتراب عن الله؛ وهذا الانفصال نتج عن خطايا الإنسان ومعاصيه، - عبادة الإنسان للأصنام التي يضفي عليها - باعتقاده - الألوهية؛ بمعنى أن الإنسان يغترب عن ذاته حتى يصل درجة الظن بأن المخلوق هو في الأصل الخالق.

### \* الاغتراب في نظرية العقد الاجتماعي:

تمثل استخدام مصطلح الاغتراب في النظرية السياسية وبالوجه الأخص في نظرية العقد الاجتماعي قبل هيجل، ويتضح بأن 'هوجو جروتويس' Hugo Grotius كان أول مستخدم له في هذا الصدد، إذ ينظر جروتويس إلى السلطة السيادية للمرء أو حقه في تقرير تصرفاته، مثل حقه في الملكية، فكما يمكن تغريب الأشياء؛ أي نقل ملكيتها لشخص آخر، يمكن نقل السلطة السيادية<sup>2</sup>.

فجروتويس يرى أن هذا الاغتراب - نقل السلطة - يتأتى حينما تتخلى مجموعة من الناس عن الحق المطلق لكل فرد من أعضائها في تقرير مسلكه،

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 46.

<sup>2</sup> - ريتشارد شاخ، المرجع السابق، ص 71.

وتقوم بالإجماع على نقل السلطة السيادية إلى فرد منها<sup>1</sup>، وهكذا تصبح السلطة مغتربة<sup>2</sup>، كما أن المتخلي عن هذه السلطة يعد مغترباً.

هوبز:

- أما هوبز 'T. hobbes' وهو القائل: إن إسقاط حق إنسان ما في أي شيء هو تجريد له من حريته، في أن يحول دون استفادة شخص آخر من حقه في نفس الشيء... فالحق يسقط إما بالتخلي عنه، أو بنقله إلى شخص آخر<sup>3</sup>.

فبذلك يرى أن الإنسان يستطيع الدخول في العقد الاجتماعي عندما يجرد نفسه من القيام بأي شيء يريده، ونقل حقه في استخدام سلطته إلى آخر، وهذا هو الكفيل بقيام المجتمع المدني 'Civilsociety' كما أن تخلي الإنسان عن حقه لصاحب السلطة يكسبه حفظ حياته، يقول هوبز: إن ذلك عمل اختياري، والهدف من كل الأعمال الاختيارية التي يقوم بها الإنسان هو ضمان بعض الخير لنفسه<sup>4</sup>.

فالعمل الذي يقوم به الإنسان بتخليه عن حقه يكون طوعية، وعن قناعة بأنه سيستفيد من ذلك.

لوك:

ويتخذ لوك موقفاً مقارباً لموقف هوبز في أطروحته حول الحكومة المدنية، ويكمن الاختلاف فقط في أن لوك يرى بأن الحق الذي يتخلى عنه الناس وينقل للمجتمع، هو حق معاقبة المذنبين في حق الإنسان، إذ يتخلى

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 71.

<sup>2</sup> - السيد علي شتا، نظرية الاغتراب، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1993، ص 28.

<sup>3</sup> - ريتشارد شاخت، المرجع السابق، ص 71.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، ص 72.

كل عضو من المجتمع السياسي عن القوة الطبيعية ويسلمها إلى أيدي المجتمع، وهكذا فلوك يركز على الترك والتسليم<sup>1</sup>، ويشير إلى إعادة تعيين القوى الطبيعية إلى أيدي المجتمع المحلي، وبذلك يتحدث عن إعادة التعيين<sup>2</sup>.

ويشارك هوبز مع لوك في تركيزهما على التضحية الاختيارية بحق السلوك من أجل إيجاد المجتمع السياسي ذي الأهمية الكبرى في حياة الأفراد<sup>3</sup>.

### جان جاك روسو:

ويعد الفيلسوف "جان جاك روسو" من أبرز الفلاسفة المحدثين الذين تناولوا فكرة الاغتراب. وقد وردت عنده الفكرة بمعنيين، ففي كتابه "العقد الاجتماعي" يستخدم لفظ "Aliénation" للتعبير بها عن تقديم الفرد ذاته للجماعة، لتوجه بإرادتها وتصبح جزءا منها، ويصبح الاغتراب بهذه الدلالة عملا إيجابيا، يضحي فيه المرء بذاته - سيادته وممتلكاته - لأجل مصلحة الجماعة وبالتالي مصلحته، أما في كتابات روسو النقدية للحضارة والمجتمع فهو يشير إلى الاغتراب بمعناه السلبي، فيرى بأن الحضارة قد سلبت الإنسان ذاته، وجعلته عبدا للمؤسسات الاجتماعية ليصبح ذاتا أخرى تتحكم فيها إرادة خارجة عنه، ويصير عندها الاغتراب مرادفا لمفهوم التبعية "Heteronomy"<sup>4</sup>، ويتفق "روسو" مع "هوبز" على أن الاغتراب عمل إرادي تطوعي يستهدف تحقيق الخير لصالح القائم به، ويهاجم "روسو" الرأي القائل بإمكانية تحويل الناس للسلطة السيادية من أنفسهم لفرد آخر<sup>5</sup>، كما ينتقد

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>2</sup> - السيد علي شتا، المرجع السابق، ص 30.

<sup>3</sup> - ريتشارد شاخ، المرجع السابق، ص 72.

<sup>4</sup> - حسن محمد حسن حماد، المرجع السابق، ص 46- 47.

<sup>5</sup> - وكان جروتيوس هو الذي طرح وجهة النظر هذه.

روسو<sup>1</sup> وبشدة بوفندورف حول رأيه في تماثل حيازة المرء لسيادته على نفسه وحيازة ملكيته، وهذا التماثل الذي يستلزم مع إمكانية التخلي عن الملكية تخل عن السيادة على الذات، ويعارض الطرح ليقول بعدم التماثل بينهما تماماً فيضرب لذلك مثلاً بأن المرء يمكن أن يتنازل عن أي جزء من ملكية بحوزته دون أن تتدنى مرتبته في المجتمع، في حين أنه إذا قام بنقل سيادته على ذاته لآخر، فإن مرتبته تتدنى وتنحط في المجتمع فالأولى لا يفتقد فيها ذاته كإنسان أما في الثانية فيفتقدها<sup>1</sup>.

وروسو برأيه هذا لا يقول بعدم تغريب السيادة على الذات دوماً، إنما بعدم نقلها إلى فرد، بل يجب أن تنقل إلى جماعة تتبنى المساواة في مساراتها، وهكذا فكل عضو مشارك في الجماعة يجب أن يغرب كافة حقوقه لها، ويقول في هذا الصدد: إن كلا منا يقدم للجماعة شخصه، والقوى التي يحوزها باعتباره كذلك، لتكون تحت التوجيه الأسمى للإرادة العامة ونقبل في إطار الجسد السياسي كل فرد باعتباره يشكل جزءاً لا يتجزأ من الكل<sup>2</sup> فروسو برأيه هذا يوضح بأن الفرد يقوم بتسليم ذاته بأسرها إلى الجماعة، ولكنه يرى كمن سبقه من أسلافه في نظرية العقد الاجتماعي، أن ما يمكن للفرد أن يتحصل عليه جراء هذا التنازل يكون أكثر مما يفقد<sup>3</sup>.

ب - الاغتراب عند معاصري هيجل:

- فيخته:

استخدم فيخته مصطلح 'التخارج' "Entausserung" بمعنى التسليم أو التجرد المرتبط بصورة وثيقة بمصطلحي الغربة والاغتراب عند أصحاب

<sup>1</sup> - ريتشارد شاخت، المرجع السابق، ص 73- 74.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 75.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.



نظرية العقد الاجتماعي، وهيقل وهذا ما حدا بشااخت إلى الاستنتاج بأن تأثير فيخته على هيجل كان حقيقة واقعة.

ينبني برنامج فيخته على تغطية الفراغ بين العالم الظاهري والعالم الروحي، فيرى أن العالم الظاهري يعتبر نتاجا للإبداع الروحي، وبما أن الإنسان روح فهو ليس مجرد جزء من العالم الظاهري هذا، وإنما سر وجوده، ويفضل وعيه فإنه بإمكانه التفوق على هذا العالم.

وبما أن فيخته يسعى لتفسير الحرية فإنه من خلال هذه المفاهيم نظر إلى الحرية الإنسانية من منظور الوعي الأخلاقي ومنظور علاقته بالعالم الظاهري<sup>1</sup>.

ويشير "لوكاتش" إلى أن فيخته قد أدرج مصطلح التخارج في كتابه "علم المعرفة" بمعنى الموضوع باعتباره تجريدا من جهة الذات؛ فالعالم الظاهري (أي الموضوع) تبدعه الروح (أي الذات)، إنها- أي الروح- تستخرجه من ذاتها وترميه ضدها باعتباره قد خرج عنها فيصف فيخته هذا التطور معتبرا إياه تخارجا من جهة الروح وانفصالا عن شيء متم إليها ويرى شااخت بأن هذا الاصطلاح يوافق ويلائم المعنى تماما؛ لكون الفعل المشتق منه 'Ausse' يعني جعل الشيء خارجيا<sup>2</sup>.

- فريدريك شيللر:

لم يستخدم الفيلسوف الألماني "شيللر" مصطلح الغربية أو الاغتراب ولكنه تحدث عن عاشوا تجربة الغربية بسبب ظروف معينة، ليذهب إلى أن هناك اختلافا بين وضع الإنسان (في الزمن) وطبيعته الجوهرية الحقة (في

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 76- 77.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 77.

الفكرة)، ويشير إلى أن مهمة الإنسان هي التنسيق بين هذين الجانبين، وإذا تم ذلك فالإنسان الكامن بداخلنا يتحد مع ذاته، وشرط الاتحاد هذا يكمن في مناسبة الموضع لكل من العقل والطبيعة والتعادل في ذلك، فيتطابق وجود الإنسان في الزمن مع وجوده في الفكرة، وهو الأمر الذي لا يحدث إذا تجاوز أحدهما الآخر، وطالما يتم هذا التوحد فالإنسان يظل منفصلا عن ذاته، ولا يعتقد شيللر بجمتية بقاء الإنسان في تناقض مع نفسه ومع العالم، ويمثل لذلك بأن الإنسان الإغريقي لم يعرف التمزق والتشتت الذي أصاب الإنسان المعاصر، فيرى بأن الإنسان المعاصر لو واصل تطوره الروحي لتجاوز المستوى الذي وصله الإغريق<sup>1</sup>.

وييدي شيللر ملاحظته حول علاقة الإنسان بالطبيعة قائلا: « طالما أن الإنسان في حالته الطبيعية الأولى يتقبل عالم الحواس بصورة سلبية فحسب، ويعيه عن طريق الحواس فقط، فإنه يظل متطابقا معه كلية، ولأنه هو نفسه ينتمي إلى هذا العالم ولن يكون هناك عالم بالنسبة له، ولن تغدو شخصيته شيئا متميزا عن العالم إلا حين يخرج هذا العالم من نفسه، ويتأمله في وضعيته الجمالية حيثئذ يتجلى العالم أمام ناظريه؛ لأنه كف عن أن يطابق بين نفسه وبين العالم »<sup>2</sup>.

فشيللر يرى بأن فقدان الوحدة لا يعد ضربا من سوء الحظ، بل هو شرط سابق لتحقيق وحدة جديدة واعية، فالتأمل يدفع لمعرفة حقيقة الذات، وهكذا يحمي من تدخل العاطفة.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص78 - 79.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 79.

ويشير شاخت بأن هيجل قد طور هذه الفكرة، ويرى بأنها فكرة أساسية في طرح الاغتراب بأكمله عنده<sup>1</sup>.

ج - الاغتراب عند هيجل: Higel ( 1770 - 1831 ):

يعد هيجل أول مستخدم لمصطلح الاغتراب استخداماً منهجياً منظماً<sup>2</sup>، ذا طابع مزدوج وهذا الاستخدام المزدوج لمفهوم الاغتراب نعني به ذلك الاستخدام الذي يشير إلى سلب كل الحرية والمعرفة<sup>3</sup>، وقد كان اهتمام هيجل بالاغتراب منصبا على هذين البعدين بعد سلب الحرية وبعد سلب المعرفة، فتطرق لقضية سلب المعرفة وعلاقتها بالاغتراب عندما تحدث عن التأليف بين الحرية والضرورة وخلص إلى نوعين من الاغتراب هما:

-اغتراب الخضوع:

وفيه تكون الذات منفصلة عن توجيهها الخاص، وخاضعة للتوجيه العام الصادر عن العقل الموضوعي.

-اغتراب الانفصال:

وفيه تسلب الذات معرفتها بالعقل الموضوعي، وتصبح خاضعة للتوجيه الخاص.

وتطرق لقضية سلب الحرية وعلاقتها بالاغتراب عندما ربط حرية الفاعل باستيعابه للعقل الموضوعي، إذ تسلب الحرية في حالة غياب هذا

---

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 80.

<sup>2</sup> - السيد علي شتا، المرجع السابق، ص 01.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 35.

الاستيعاب، وعندها تنفصل الذات عن العقل الموضوعي<sup>1</sup>، وسنحاول التطرق لمعاني الاغتراب عند هيجل بإيجاز.

يرى هيجل أن الإنسان ذو طبيعة مزدوجة متمثلة في الفردية والكلية، ويقصد بالآخيرة تلك البنية الاجتماعية التي يبدعها عقل الإنسان، وبالتالي يعتبرها شيئاً عقلياً ينظر إليها كموضع لعقله. كما يرى بأن علاقة الإنسان بتلك البنية علاقة وحدة كاملة تتسم بالفورية والتلقائية، بيد أنه يشير إلى إمكانية نشوء شقاوات ينتج عنها عودة الإنسان إلى ذاته، والكف عن التطابق مع البنية الاجتماعية لتحقيق فريدته المتميزة، وتصبح بالتالي علاقته مع تلك البنية علاقة تنافر، وينشأ عن ذلك عدم تطابق في الوعي بين البنية والذات، فتكون النتيجة في الأخير نظرة الفرد إلى البنية على أنها شيء آخر مستقل عنه، وهذا الانفصال بين الذات والبنية الاجتماعية هو أحد معاني الاغتراب عند هيجل، ويعتقد هيجل أن هذا الاغتراب عن البنية يفرض على الإنسان اغتراباً آخر هو الاغتراب عن الذات، فاقتاده لكليته ينتج عنه تغريب نفسه عن طبيعته الجوهرية<sup>2</sup>، فالاغتراب بهذا المعنى هو جزء من الظرف الإنساني؛ إذ الوعي يغترب عن عالم الطبيعة والمادة ولا يمكنه تجاوز هذا الاغتراب إلا عن طريق تنمية المعرفة بالذات<sup>3</sup>، فهذه المعرفة تساعد الذات على إيجاد حقيقتها الأساسية<sup>4</sup>، كما يرى هيجل بأنه لا يمكن التغلب وقهر هذين النوعين من الاغتراب إلا باغتراب ثالث يكمن في معاني

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 7- 8.

<sup>2</sup> - سميرة سلامي، الاغتراب في الشعر العباسي، دار الينابيع، دمشق، 2000، ص 35- 36.

<sup>3</sup> - ميشيل مان، موسوعة العلوم الاجتماعية، ترجمة عادل مختار الهواري، سعد عبد العزيز، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999، ص 48.

<sup>4</sup> - السيد علي شتا، المرجع السابق، ص 39.

التسليم 'والتخلي'؛\* بمعنى أن الوعي الفردي يستعيد وحدته التي فقدتها مع البنية الاجتماعية وذلك بالاتحاد مع متطلبات الكلية، هذا الاتحاد الذي ينتج عنه حتما اغتراب عن الذات والقيام بالتخلي عنها أو تسليمها<sup>1</sup>.

وهكذا نفهم بأن خطط هيجل في تناوله لهذا المفهوم يبني على علاقة التكافؤ المنطقي الرياضية وهي طريق صالحة للاستخدام في الذهاب والإياب كما رأينا.

د - الاغتراب بعد هيجل:

- الاغتراب عند فويرباخ:

قامت معالجة فويرباخ لقضية الاغتراب على نقده للدين، متناولا للقضية من الجانب السلبي باعتبار الاغتراب حالة فقدان الوجود الأصيل، وأصبح مصطلح غربة عنده مرادفا لمصطلح 'التخارج' وأن الدين يمثل اغتراب الإنسان عن جوهره الحقيقي<sup>2</sup>، يقول: «إن مذهبي باختصار هو كما يلي: إن اللاهوت هو الأنثروبولوجيا؛ بمعنى أن ذلك الذي يفصح عن ذاته في موضوع الدين أي الرب 'Theos' باللغة اليونانية والله 'Gott' باللغة الألمانية لا يعدو أن يكون جوهر الإنسان، ويتعبّر آخر فإن إله الإنسان ليس إلا الجوهر المتأله للإنسان»<sup>3</sup>، نفهم من مقولة فويرباخ هذه أنه يعتبر اللاهوت 'Theology' هو الأنثروبولوجيا 'Anthropology' وهذا التحويل لعلم اللاهوت إلى علم الإنسان قد اجتهد فويرباخ لتفسيره.

\* - وهو معنى الاغتراب عند أصحاب نظرية العقد الاجتماعي.

<sup>1</sup> - سميرة سلامي، المرجع السابق، ص 36.

<sup>2</sup> - حسن محمد حسن حماد، المرجع السابق، ص 57.

<sup>3</sup> - ريتشارد شاخ، المرجع السابق، ص 126 - 127.



إذ يعتقد أن الإنسان خلق على صورته الجوهرية صورة الله، فيرى بأن طبيعته الجوهرية لا تماثل طبيعته الفعلية، فانعكست الأولى في فكرة الله، وبالتالي فقد اتخذ شيئا يجب عليه احترامه مع يأسه من التطلع إلى الحصول على تلك الصفات، وفي تنازله هذا ينفي طبيعته الجوهرية<sup>1</sup>. فالوجود الإلهي ليس إلا ماهية الإنسان مستقلة عن حدوده الواقعية، فتلك الصفات التي يضيفها على الذات الإلهية هي صفات إنسانية كالرحمة، الحب، العدالة... وإذا كانت الصفات إنسانية فالذات المتصفة بها أيضا إنسانية، فالله ليس إلا ماهية الإنسان مجردة من تحديداته\* الفردية والإيمان بالله هو إيمان بالإنسان وإيمان بمماهيته الحقيقية بعد رميها خارج العالم، وتصورها خارقة للعادة وفوق الطاقات البشرية، إذا فنظرة فويرباخ هذه تجعل من الإنسان مغتربا فيجعل من الله موضوعا مستقلا عنه، وهو في الحقيقة وثن نفسي مفارق له في الخارج، ومن إبداعه وصنعه<sup>2</sup>.

وهكذا ففويرباخ يعتبر أن الاغتراب الديني هو الأساس لكل الاغترابات، فجوهر الاغتراب هو تحول الأنا إلى آخر تحولاً جزئياً أو كلياً، وتحول الإنسان إلى الله هو الأسبق في كل الحالات من تحوله إلى عمل أو نظام أو شيء أو مذهب<sup>3</sup>، وتصور الدين أنثروبولوجيا هو في الحقيقة رؤية تخدم الإنسانية بغض النظر عن سلبيتها؛ فهي تعيد للإنسانية خصائص وسمات سامية ونبيلة قد افتقد الكثير منها في عصرنا<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 127.

<sup>2</sup> - الهاء تعود على الإنسان.

<sup>3</sup> - حسن محمد حسن حماد، المرجع السابق، ص 58.

<sup>4</sup> - حسن حنفي، الاغتراب الديني عند فويرباخ، مجلة عالم الفكر، مج 10، العدد الأول، 1979، ص 43.

<sup>5</sup> - المرجع السابق، ص 53.

وبناء على هذا الطرح للاغتراب عند فويرباخ فإن قهره له لا يتأتى إلا إذا استرد الإنسان المغترب الصفات التي فقدتها، وإعادة التكامل لشخصيته التي انقسمت من خلال الديانات الإنسانية كما على الإنسان المغترب أن يؤمن ويقتنع بأن موطنه الأصلي هو الأرض، وليس له مأوى غيره فهو داره الأولى والآخرة ويجب أن يشعر بذلك<sup>1</sup>.

#### - الاغتراب عند ماركس:

ركز ماركس في تناوله لموضوع الاغتراب على فكرة سلب الحرية، تلك الفكرة صاحبة لطبيعة العلاقات السائدة في النظام الرأسمالي<sup>2</sup>، ويعتبر تحليل ماركس لهذا المفهوم فريداً؛ لكونه قد أضفى على دراسة الاغتراب بعداً مادياً من خلال نقد وتحليل المجتمع البرجوازي - الرأسمالي<sup>3</sup>، ويعتبر الاغتراب الموضوع الرئيس الذي تناوله كتاب "مخطوطات باريسية" (1944) وفيه دلل ماركس على أن الاغتراب يتم بأربع طرق هي:

الاغتراب عن ناتج العمل، الاغتراب عن العمل ذاته، الاغتراب عن الآخرين الاغتراب عن النوع الإنساني<sup>4</sup>.

ففي اغتراب الإنسان عن ناتج عمله، يرى ماركس بأن المنتج في ظل النظام الرأسمالي يفقد علاقته بناتج عمله لأنه (أي العامل) لا يختار القيام بهذا الناتج بل هو مجبر عليه من أجل توفير حاجياته الضرورية، فهو يعيره على قوته وحياته وبمجرد إنتاجه يفقد السيطرة عليه؛ لأنه مجرد أداة لإنتاجه، فيما يصبح الناتج ملكاً لصاحب العمل - الرأسمالي - ومن هنا يكون

<sup>1</sup> - حسن محمد حسن حماد، المرجع السابق، ص 58.

<sup>2</sup> - السيد علي شتا، المرجع السابق، ص 4.

<sup>3</sup> - سميرة سلامي، المرجع السابق، ص 34 - 35.

<sup>4</sup> - ميشيل مان، المرجع السابق، ص 48.

العامل مغتربا عن ناتج عمله الذي يستولي عليه الآخرون. كما يرى ماركس أن ثمة قوتين تعجلان الناتج غريبا عن منتجه، الأولى إنسانية، والثانية غير إنسانية؛ وتتمثل في مجموع القوانين التي تحكم هذا الناتج مثل قانون العرض والطلب<sup>1</sup>.

أما في اغتراب الإنسان عن العمل ذاته، فيشير ماركس بذلك إلى تلك الألفة المفقودة بين العامل والعمل الذي يقوم به، وذلك أن هذا الأخير لا يعكس شخصية صاحبه واهتماماته، وهو خال من العفوية والطوعية والتوجيه الذاتي، إنه عمل مفروض وغير مرغوب فيه وهذا لأن العامل يسلم طاقة عمله - مقابل أجر زهيد - إلى صاحب العمل، ويوافق على القيام بالعمل الذي يحدده هذا الأخير، وهنا تنفصم الصلة بين العامل وعمله من خلال تدخل صاحب العمل في توجيه نشاط العامل وفق ما يريده<sup>2</sup>؛ بمعنى أن العمل في المجتمع البرجوازي ينتقل من كونه مجالا للإنجاز إلى عمل قهري<sup>3</sup>.

ويرى ماركس أن الاغتراب عن الآخرين هو نتيجة حتمية لاغتراب العمل، واغتراب الناتج، ففي المجتمع الرأسمالي أصبح الإنسان وسيلة بالنسبة للآخر، والعالم الرأسمالي تسوده الأنانية والحروب بين الأفراد، الذين يهتمون فقط بمصالحهم الخاصة، ودافعهم الوحيد في إقامة علاقة مع الآخرين هو الحاجة والمصلحة الذاتية، وبهذا فالفرد في المجتمع الرأسمالي يرى الآخرين (في قرارة نفسه) خصوما وأعداء له، وتخف عدائته للآخرين بمقدار نفعهم له، وتلييتهم لحاجاته ومصالحه<sup>4</sup>، وبهذا فالاغتراب عن

<sup>1</sup> - سميرة سلامي، المرجع السابق، ص 40.

<sup>2</sup> - المرجع السابق، ص 40 - 41.

<sup>3</sup> - ميشيل مان، المرجع السابق، ص 48.

<sup>4</sup> - سميرة سلامي، المرجع السابق، ص 41 - 43.

الآخرين يتجسد من خلال منطق الأنانية والتنافس الذي يحكم العلاقات بين الأفراد في ظل النظام الرأسمالي<sup>1</sup>.

أما الاغتراب عن النوع الإنساني أو ما يمكن أن نسميه اغتراباً عن الطبيعة البشرية الأساسية (اغتراب عن الذات)، فكما سبق وأشرنا يجعل ماركس العمل وناتج العمل حياة للإنسان، وتعبيراً منه على ذاته، وبذلك فاغتراب العمل واغتراب الناتج يؤديان بالضرورة إلى اغتراب الإنسان عن ذاته<sup>2</sup>، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الذي يميز الجنس البشري عن سائر الحيوان هو كون هذا الأخير يعمل على التكيف مع بيئته وحسب، بينما يتجاوز الإنسان ذلك ليهيمن على بيئته، وفي الأنظمة الرأسمالية يتتفي عنصر الهيمنة الواعية الذي ذكرناه، وبذلك تتدنى منزلة الإنسان (العامل) إلى مرتبة الحيوان<sup>3</sup>، ومن هنا يصبح الإنسان مغترباً عن ذاته.

تلك كانت أهم النقاط التي تناولها ماركس في تحليله لظاهرة الاغتراب ومن خلالها نستطيع القول بأن ماركس - على خلاف هيجل - يرى أن الاغتراب حالة تلازم شكلاً معيناً (محدداً) من أشكال المجتمعات، إنه المجتمع الرأسمالي، فماركس يرى أنه من الممكن تجاوز حالة الاغتراب تلك من خلال تغيير هذا النظام<sup>4</sup>، وهو في ذلك يشير إلى الشيوعية باعتبارها الحل الوحيد الذي يمكن من تجاوز حالة الاغتراب، ذلك أنها ترتبط - في فكر ماركس - ارتباطاً وثيقاً بالإنسانية، فهي الوحيدة القادرة على إعادة الإنسان إلى ماهيته الحقيقية من خلال تحريره، وذلك بإلغائها للملكية الفردية لتجعل بذلك عمل الإنسان انعكاساً لذاته وتجلياً لها (لا كما في الرأسمالية حيث

<sup>1</sup> - ميشيل مان، المرجع السابق، ص 48.

<sup>2</sup> - سميرة سلامي، المرجع السابق، ص 43 - 44.

<sup>3</sup> - ميشيل مان، المرجع السابق، ص 48.

<sup>4</sup> - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

العمل وسيلة للاستغلال والسيطرة على الإنسان وسلب حرية، ومن ثم جعله يعيش حالة من الاغتراب) وربما هذا هو الذي يحمل الإنسان على التصالح مع أخيه واحترامه<sup>1</sup>.

### - الاغتراب عند دوركايم ' Durkheim ':

إذا كان هيجل (كما سبق وأن ذكرنا) ركز في تناوله لظاهرة الاغتراب على بعدين أساسيين هما: بعد سلب المعرفة، وبعد سلب الحرية فإن دوركايم في استخدامه للاغتراب ركز على بعد سلب المعرفة باعتباره قضية محورية لفهم ظاهرة الاغتراب، وسنعرض فيما يلي للمفاهيم الكبرى لتصوره:

تناول دوركايم- على غرار هيجل- قضية العلاقة بين الحرية والضرورة، ورأى أن هذه القضية من جهة ذات صلة وثيقة بقضية الاغتراب، ومن جهة أخرى تساعد كثيرا على فهم العملية الاغترابية - إن صح التعبير - ورأى أن اغتراب الفرد مرتبط بسلب معرفته بالعقل الجمعي، ليذهب دوركايم إلى القول بأن المجتمعات البسيطة تنبني على نظام تخضع فيه مصالح الأفراد لمصالح المجموع وأن الفرد ينظم تفكيره- أثناء نموه- من أجل تحقيق مهام لمصالح المجتمع بأكمله، لذا فإن هذا الفرد يبلوغه سن الرشد- النضج- لن يشعر بأي حرج وهو يعمل من أجل الجماعة، بل على العكس من ذلك فهو يشعر بالارتياح نبضا منه وتماسكه معها، كما يرى دوركايم أن هذه العلاقة أصبحت مفقودة في المجتمعات الحديثة، وهو هنا يشير إلى الحالات غير الطبيعية المصاحبة للتقدم كالقلق والتشاؤم وغياب السعادة، وهو يرجعها إلى تزايد تقسيم العمل، وبذلك فدوركايم يرى بأن التضامن الاجتماعي يحفظ قدر الإنسان كما يرى أن اليأس والوحدة في

<sup>1</sup> - سميرة سلامي، المرجع السابق، ص 47.

التاريخ الحديث وخوف الذات واكتئابها وقلقها المتزايد، هي نتيجة للنزعة الفردية التي طغت في المجتمعات الحديثة، وبهذا فطغيان النزعة الفردية أدى إلى إضعاف الضمير الجمعي<sup>1</sup> مما أدى إلى عجز المجتمع عن تحقيق الفردية، وبما أن الفرد تابع للضمير الجمعي، وسلوكه يحدده المجتمع بأكمله، فإن حالة التبعية هذه ولدت حالة من الاغتراب في المجتمع الحديث، وبهذا فإضعاف الضمير الجمعي<sup>2</sup> والمجتمع - نتيجة لطغيان الفردانية - أدى إلى انفصال الفرد عن العوامل التي توجه تبعيته للضمير الجمعي؛ أي أن التصدع في البناء الاجتماعي صاحبه تصدع على مستوى الشخصية<sup>1</sup>، وبهذا فقد أصبح الفرد يعيش حالة من الاغتراب بفقدانه لمعرفته بالعقل الموضوعي، ليخلص دوكايم إلى تقسيم التضامن إلى نمطين هما: التضامن الاجتماعي الآلي، والتضامن الاجتماعي العضوي، فيرى أن النمط الأول يقوم على الأخلاق والتجانس الاجتماعي وهو يتسم بخضوع الأفراد لما يمليه الرأي العام والمسؤولية فيه جمعية، بينما يتأسس النمط الثاني على تقسيم العمل وتخصص الوظائف، وهو بذلك يقوم على الاختلافات الفردية<sup>2</sup>، وهنا يستخدم دوكايم مفهوم الأنومي "Anomie" ويقصد به بالمعنى الحرفي؛ بلا معايير، وجرت العادة على استخدامه بأنه حالة من حالات المجتمع التي تنطوي على عدم اتفاق جوهرى بين أفرادها على معايير ملائمة ويرى دوكايم أن فقدان المعايير في المجتمع ناتج عن عدم اكتمال التحول من التضامن الآلي إلى التضامن العضوي وعندها يكون التقدم في تقسيم العمل في المجتمع قد تحقق بأسرع من تحقق التقدم في الأساس الأخلاقي لهذا التقسيم؛ وبذلك تكون جوانب من هذا المجتمع منظمة بطريقة غير كافية

<sup>1</sup> - السيد علي شتا، المرجع السابق، ص 80 - 84.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 84 - 85.

وهنا يكون فقدان المعايير الذي يجعله دوركايم سببا للأمراض والأعراض المرضية التي تصيب المجتمعات الحديثة<sup>1</sup>.

واستنادا إلى ما سبق يمكننا أن نقول أن قضية سلب المعرفة كانت هي القضية الجوهرية التي أقام عليها دوركايم مفهومه للاغتراب.

#### - الاغتراب عند فرويد:

إذا كان كل من اتجاه دوركايم واتجاه ماركس يركز في دراسته للاغتراب على أحد البعدين اللذين تناولهما هيجل في معالجة قضية الاغتراب، ذلك بأن يؤسس الاغتراب ويدرسه إما على ضوء بعد سلب المعرفة كما فعل دوركايم وأتباعه، أو بأن يؤسس الاغتراب ويدرسه على ضوء بعد سلب الحرية كما فعل ماركس وأتباعه، فإن اتجاه فرويد كان أكثر تأثرا بهيجل، وتجسد ذلك من خلال أخذه بالبعدين اللذين عالجتهما هيجل؛ أي بعد سلب المعرفة من ناحية، وبعد سلب الحرية من ناحية أخرى، وبذلك عالج فرويد الاغتراب انطلاقا من الاستخدام المزدوج للبعدين<sup>2</sup>، وفيما يلي حوصلة لتناول فرويد للاغتراب:

قام فرويد بأبحاث هامة حول أسباب الهستيريا وطرق علاجها، وكان في مختلف أعماله يتناول مفهوم اللاوعي وما يمارسه من سلب للوعي، ويميز فرويد بين الحالات العقلية الشعورية والأخرى اللاشعورية، فرأى في جملة ما رأى أن أعراض الهستيريا تعود إلى كبح أو كبت الميول والرغبات والتي - تحت ضغط الكتب - تتخذ لها أشكالا مغايرة وشاذة تظهر من خلالها، وهي نفسها أعراض الهستيريا.

<sup>1</sup> - ميشيل مان، المرجع السابق، ص 55-56.

<sup>2</sup> - السيد علي شتا، المرجع السابق، ص 157-158.

وذهب فرويد إلى تقسيم الجهاز النفسي إلى ثلاثة أقسام هي:

- الهو (وهو مجموع الغرائز والرغبات).

- الأنا (العقل).

- الأنا الأعلى (وهو المجتمع بتقاليده وقيمه وأعرافه).

فيرى أن دور الأنا يكمن في محاولة إحلال التوازن بين الأنا الأعلى والهو، وذلك عن طريق معرفته بالأنا الأعلى أو العالم الخارجي، مع مراعاة مصلحته الخاصة المرتبطة بالهو. فكلما كانت معرفة الأنا بالعالم الخارجي - الأنا الأعلى - قوية زاد خضوعه لهذا الأنا الأعلى وبالتالي عمل على سلب حرية الهو التي تكون عادة معارضة للأنا الأعلى فيصبح بذلك الهو مغترباً، أما اغتراب الأنا فيرى فرويد أنه يكون نتيجة لسلب حرته في السماح بإشباع الرغبات والغرائز وهذا نظراً لخضوعه لسلطة الأنا الأعلى من ناحية وسلب معرفته بالواقع - الأنا الأعلى - إن سمح بإشباع هذه الغرائز، وبذلك يكون الأنا دائماً يعيش حالة من الاغتراب سواء في علاقته بالهو أو الأنا الأعلى<sup>1</sup>.

وبذلك ينشأ الاغتراب عند فرويد نتيجة لضيق الأنا بين الهو والأنا الأعلى المتصارعين وسلب حرية هذا الأنا مرة، وسلب معرفته مرة أخرى.

- الاغتراب في الفكر الوجودي:

يمكن القول بأن موضوع الاغتراب ذو ارتباط وثيق بالوجودية؛ ذلك أنها تهتم بالحياة وبالوجود الواقعي الملموس للفرد، فترى أن الوجود يسبق الماهية، وأن الإنسان هو خالق نفسه وصانعه، على ضوء الاختيار الحر، فهو الذي يقرر مصيره وسلوكه، وانطلاقاً من اختياره هذا والمسؤولية هذه

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 158 - 163.



- التي يجد الوجودي نفسه وجها لوجه معها - يدخل الوجودي في دوامة من الوحدة والقلق والغربة عن العالم<sup>1</sup>، وهكذا فمشكلة الغريب والغربة مشكلة وجودية، وأكثر من ذلك فالفلسفة الوجودية تنطلق عادة من موقف يشبه موقف الغريب تماما؛ ذلك أن نقطة البدء عندها هي صدمة من الانفعال، تهز الإنسان فجأة عندما يدرك أن الحياة عديمة المعنى، وتحت وطأة هذا الإحساس يشعر الوجودي بغربته عن العالم، وفوق كل هذا فكلمة الغريب مصطلح يتكرر في كتابات الوجوديين بكثافة<sup>2</sup>.

### - سورين كيركيغورد:

لم يستخدم كيركيغورد مصطلح الاغتراب إلا أنه تعرض لقضية اغتراب الإنسان الحديث، من خلال نقده لضياح هذا الإنسان في داخل الحشد وفقدانه لحيته<sup>3</sup> وفلسفته هذه تعبر عن تجربة حياتية مر بها؛ فقد عاش كيركيغورد حياة ملؤها الألم والوحدة والوخشة، إذ لم يستطع الانسجام مع العالم الخارجي والتوافق معه، فقد رفض الزواج من الإنسانية التي أحبها ورفض الخضوع إلى الكنيسة، وامتنع عن الارتباط بأي عمل أو وظيفة وهكذا أنطوى على نفسه، وهكذا أوحى إليه وحدته تلك بأفكار كانت ثورة على الأفكار الفلسفية في عصره<sup>4</sup>.

هذه إشارة موجزة لحياة كيركيغورد التي تعكس فلسفته والعكس صحيح، فقد هاجم كيركيغورد النزوع نحو المساواة التي نتجت من خلال تسلط الرأي العام - الجمهور - ورأى بأن خطر المساواة يكمن في سيادة الكل المجرد - الحشد - على الفرد، وهذا يستلزم تضحية الفرد من أجل

<sup>1</sup> - سميرة سلامي، المرجع السابق، ص 48 - 49.

<sup>2</sup> - محمد زكي العشماوي، الأدب وقيم الحياة المعاصرة، دار النهضة العربية، بيروت، 1980، ص 61.

<sup>3</sup> - حسن محمد حسن حماد، المرجع السابق، ص 63.

<sup>4</sup> - سميرة سلامي، المرجع السابق، ص 51.

المجموع، ومائل كيركيجورد بين النضال ضد المجموع -الجمهور- والنضال ضد الاستبداد الملكي أو حكم الباباوات، فالنضال ضد الجمهور هو نضال ضد استعباد المساواة، وضد الزيف والعبث والوحشية، ويتضح من هذا أن كيركيجورد يعارض الحلول التحررية اعتقاداً منه بأن سائر السياسات إنما تضر بالشخصية الإنسانية، والحل الوحيد -حسبه- هو فرض العزلة على ذواتنا<sup>1</sup>.

إن العبودية التي يتحدث عنها كيركيجورد هي جزء من عملية الاغتراب وانفصال الإنسان عن غاياته الأساسية، فهو يرى بأن التخلي عن الحرية الشخصية لوضعها تحت تصرف الآخرين يحدث العبودية للإنسان؛ إذ يضيع وسط القوة المجهولة أو الجمهور الذي يصفه كيركيجورد بصفات مقززة؛ فهو يرى أن ذلك الجمهور هو ذلك الشبح الذي وجد التطور عن طريق وسائل الإعلام والدعاية ليس إلا قوة منحطة كالبق، إنه رائحة عفنة، إنه صورة بشعة متعطشة للدماء لا كالأسد والنمر إنما كالحشرات الطفيلية التي تمتص دم الإنسان، وهكذا فكيركيجورد يرى بأن الإنسان يفقد ذاته من جراء توضحيته بحريته مقابل الطمأنينة التي يقدمها له الجمهور، ويصير غير متم لا لله ولا لذاته ولا لفنه ولا لعمله، فهو فقط يتمي إلى تجريد يخضع له فكراً<sup>2</sup>، فهو يرى بأن حياة المجموع هي تنازل عن الوجود الحقيقي. وبقي على رأيه ونظراته تلك حتى آخر لحظة من حياته. فقد كتب وهو ينتظر موته قائلاً: ولكن إذا تعين علي أن أحيأ ولم يبق لي إلا ساعة واحدة من الحياة، لبذلتها بكل قواي في كل ما أوقفت حياتي عليه حتى الآن، في محاربة

<sup>1</sup> - حسن محمد حسن حماد، المرجع السابق، ص 63.

<sup>2</sup> - المرجع السابق، ص 64.

مكمن الشر (الحشد)، ذلك الهذر الكافر، الذي يسري بين الناس، ذلك الازدراء الدنس للوحدة<sup>1</sup>.

ومهما يكن موقف كيركيجورد إلا أنه استطاع أن يمر في صفه الكثير من فلاسفة الوجودية - في نظرتة للاغتراب باعتباره ضياعا للذات الإنسانية داخل المجموع - من أمثال مارسيل Marcel الذي وقف ضد سطوة الدولة، ومسح هوية الإنسان، وجاسبرز Jaspers الذي يحتج على استغراق الإنسان في الآلة التي هي طابع الدولة الحديثة<sup>2</sup>.

- مارتن هيدجر:

يرى هيدجر بأن الوجود الحقيقي والأصيل هو ذلك الوجود الذي يقرر ذاته، ولا تقرر علاقات المرء بالآخرين، إنما يستمد شكله واتجاهه من قرارات وخيارات الذات - ذات المرء - وأن الوجود الزائف هو الوجود المستغرق في الحاضر<sup>3</sup>، أين يتصل المرء من مسؤوليته، ويميل إلى التهرب من حريته فيجد نفسه مدفوعا إلى الأخذ بأراء الناس وأحكامهم فتصير حياته الشخصية صورة من صور المجموع، ويصير وجوده الذاتي وجودا مبهما، فالاغتراب عن قيم المجتمع وأعرافه، والابتعاد عن الاندماج فيه ضرورة لتحقيق الوجود الأصيل، إذ يرى هيدجر بأننا لن ندرك معنى وجودنا إلا بخضوعنا لتجربة القلق، هذا الأخير هو الذي يكشف لنا عدمنا وإمكانية موتنا<sup>4</sup>، هذه الإمكانية إحدى الإمكانيات من أجل الوجود؛ فهو بالنسبة للمرء إمكانية قد تحقق وقد لا تحقق، هذا ما يجب أن ندركه إدراكا شاملا، فهذا الإدراك الشامل يعتبره هيدجر شرطا ضروريا للوجود

<sup>1</sup> - سميرة سلامي، المرجع السابق، ص 52.

<sup>2</sup> - حسن محمد حسن حماد، المرجع السابق، ص 64.

<sup>3</sup> - ريتشارد شاخست، المرجع السابق، ص 262.

<sup>4</sup> - سميرة سلامي، المرجع السابق، ص 54.

الحقيقي<sup>1</sup>، يقول هيدجر: «إذا وقف الوجود الإنساني إزاء ذاته باعتباره تلك الإمكانية، فإننا في هذه الحالة إنما نشير كلية إلى إمكانيته الصميمة من أجل الوجود؛ وذلك لأن الوجود الإنساني إذا ما وقف إزاء ذاته على هذا النحو، فإن كل علاقاته بأي وجود إنساني آخر تتقوض»<sup>2</sup>، فإذا ما أدركت الذات لوجودها على أنه متناه وفان فإنها حققت ذلك الشرط الضروري للوجود الأصيل.

أما زيف الوجود فيكمن في هبوطه بالإنسان إلى حياة مبتذلة يفقد فيها حرته ويضيع في الحشد، إذ يعيش كما يعيش الناس ويعمل ما يعمله الناس، ويفكر كذلك فيما يفكر فيه الناس كما يقيس بمعايير الناس ويصبح بذلك هذا الإنسان نسخة لهذا الحشد - الناس - ويقضي على وجوده الأصيل بتنازله عن حرته<sup>3</sup>.

#### - إيريك فروم:

ينظر فروم إلى قضية الاغتراب نظرة سلبية، فهو يرى أن الإنسان المغترب إنسان مريض على الرغم من أنه قد يبدو سويًا<sup>4</sup>.

إن مفهوم الاغتراب - عن الذات خاصة - لا ينفصل عن مناقشة فروم للاغتراب في المجتمع المعاصر، فأحيانًا يكون هذا المفهوم سببًا أو نتيجة لاغترابات أخرى، ففي اغتراب الإنسان عن الآخرين ينطلق فروم من حقيقة مفادها أن الإنسان المغترب عن الآخرين هو حتماً مغترب عن ذاته،

<sup>1</sup> - ريتشارد شاخت، المرجع السابق، ص 263 - 264.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 264.

<sup>3</sup> - عبد الرحمن بدوي، دراسات في الفلسفة الوجودية، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1983، ص 87.

<sup>4</sup> - حسن محمد حسن حماد، المرجع السابق، ص 125.

فالإنسان الممثل ( الخاضع للحشد ) أو الأناني هو في الحقيقة إنسان فاقد لذاته الأصيلة وبالتالي فهو مغترب عنها، أما في الاغتراب عن العمل فقد سائر فروم ماركس في تفسيره لاغتراب الذات كنتيجة حاصلة لاغتراب العمل، إذ يرى فروم بأن ممارسة الإنسان لعمله بطريقة آلية أو بطريقة اضطرارية للهروب من الوحدة والعزلة تستحيل به إلى الاغتراب عن ذاته، كما يؤدي اغتراب الناتج بدوره إلى نوع من الصنمية ( صنمية الإنتاج )، كما أن اغتراب الاستهلاك - حسب فروم - ينتج عن إحساس الإنسان بالعجز واللامعنى وفقدان الذات، ففروم يرى بأن الموقف الديني المغترب وممارسة الحب المزيف يؤدي حتما إلى العبادة الصنمية<sup>1</sup>.

هذه بإيجاز، نظرة فروم إلى الاغتراب، لكن المهم - ربما في دراسات فروم - هو تلك الطرق والمبادئ التي يقدمها للقارئ لقهر الاغتراب، لذلك ارتأينا أن نستعرضها باختصار:

كما سبق وأن قلنا بأن فروم قد نظر إلى الاغتراب على أنه ظاهرة سلبية تماما إذ يرى أن الإنسان المغترب هو إنسان مريض من الناحية الإنسانية، وبناء على هذا فإنه وضع أسسا أو مبادئ يمكن من خلالها قهر الاغتراب وهي<sup>2</sup>:

#### \* الوعي بالاغتراب والقدرة على تحمل العزلة:

يرى فروم بأن الوعي بالاغتراب يؤدي إلى التغلب عليه، فالوعي يعني طرح الأوهام، فإذا اكتمل هذا الوعي تحرر الإنسان، كما يرى بأن العزلة تسمح للإنسان بالتحرر من الروابط التي تحد من حريته وتحقق تفرده واستقلاله واستدل على ذلك بالأنبياء الذين عاشوا تجربة العزلة...

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 123.

<sup>2</sup> - المرجع السابق، ص 125 - 141.

## \* بزوغ الأمل:

يرى فروم بأن الإنسان قد انتصر على الطبيعة إلا أنه قد أصبح سجيناً لابتكاره البشري، وبات مهدداً بتدمير نفسه بنفسه فهو بحاجة إلى قدر من الأمل لقهر يأسه وشككه، وهذا الأمل ليس هو الانتظار السلبي أو الرجاء في الزمن، إنما هو أن يكون الإنسان مستعداً في كل لحظة للشيء الذي لم يولد بعد، فلا معنى لأن نأمل فيما هو موجود من ذي قبل أو فيما لا يمكن له أن يوجد فالحياة تنتهي بغياب الأمل...

## \* بعث الإيمان ومناهضة الصنمية:

يرى فروم بأن النظام الإنساني الحديث لم يشبع للإنسان سوى حاجاته المادية، أما الحاجات الإنسانية كالحب والسعادة والإيمان فإنها لم تشبع بالدرجة التي تكفيه، كما يرى بأن النمو المتزايد للعلوم الحديثة أوشك على قتل القيم الروحية، فأصبح الإنسان يسعى فقط لإشباع حاجاته المادية، وأن الاغتراب كأحد المشاكل الإنسانية يعود جزء كبير منه إلى نقص هذا الجانب الروحي، فالإنسان الحديث توهم بأنه قد تحرر من القيود الدينية في حين أنه سقط في العبادة الصنمية بصورها الحديثة مع العلم أن العبادة الصنمية هي جوهر قضية الاغتراب عند فروم لذلك فهو يرى بأن الإنسان بحاجة إلى بعث الإيمان كما هو بحاجة إلى بزوغ الأمل تماماً...

## \* الارتباط التلقائي بالعالم والآخرين:

إن مصدر الاغتراب - حسب فروم - يتمثل في عجز الفرد عن الانتقال من الحرية السلبية (تلك الحرية التي ترتبط بالعجز والوحدة والهروب) إلى الحرية الإيجابية (تلك الحرية التي يستطيع عندها الإنسان الاتحاد مع العالم والآخرين دون فقدان لذاته أو تنازل عن حرته)، فقهر

الاغتراب كما يرى فروم لا يتم إلا بتحقيق تلك الحرية الإيجابية التي تفترض النشاط التلقائي الذي يرى فروم بأنه يجب أن يكون صادرا عن وعي وتفكير وحرية...

### \* تحقيق المجتمع السوي:

يرى فروم بأن تحقيق تلك الحرية الإيجابية وقهر الاغتراب لا يتأتى إلا بتحقيق التغيرات الاجتماعية والاقتصادية المناسبة التي تسمح للإنسان بالتعبير عن نفسه بكل حرية ويعتقد فروم بأن الشر والتدمير ليسا من طبيعة الإنسان<sup>1</sup> ويقول في هذا الصدد: إنه لا يوجد شيء في طبيعة الإنسان يعوقه على بلوغ المجتمع السليم الكامل<sup>2</sup>.

ونظرة فروم هذه في الحقيقة نظرة يوتوبية لا يمكن تحقيقها على أرض الواقع.

### - ألبير كامو:

كتب ألبير كامو تحت عنوان رؤية غربة العالم يقول: 'لئن كانت الطبيعة مألوفة لدينا؛ فذلك لأننا نرسم على سطحها تخطيطات عاداتنا، إننا لسنا في اتصال معها بل مع الأفكار والرغبات التي نلقيها عليها، إن في إدراك الطبيعة كشفا لما هو من قماش آخر غير الوعي البشري، إن العالم يرى إذ ذاك كثيفا وغريبا... وتبرز الغرابة في أن يدرك أحدنا أن العالم كثيف ويشعر إلى أي حد يبدو حجر ما غريبا... إن في أعماق كل جمال يرقد شيء لا إنساني، فهذه الروابي، وعذوبة السماء، وأشكال الأشجار كلها في اللحظة نفسها تفقد المعنى الوهمي الذي كنا نلبسها إياه، وتصبح منذ الآن أبعد من

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 142.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

جنة ضائعة... ففي لحظة واحدة نكف عن أن نفهمه؛ لأننا طوال قرون لم نفهم منه إلا الوجوه والرسوم التي كنا نكسبه إياها مقدما، ولأن القوة تنقصنا بعد الآن لاستعمال هذه الحيلة.

إن العالم يفلت منا، فلا ندركه لأنه يعود كما كان، وهذه الزينات التي قنعتها العادة تعود كما كانت، إنها تبتعد عنا... شيء واحد: كثافة العالم هذه وغرابته ذلك هو العيب<sup>1</sup>.

من خلال هذه السطور يعترف كامو صراحة بهذا اللامعنى للحياة، فكل شيء غريب وغير حقيقي، تافه ومقنع، وعندما تسقط الأقنعة فجأة يكتشف كامو أن كل ما يدور حوله مجرد أكذوبة يحاول الناس تصديقها من خلال ما يصبغونه عليها من ألوان جميلة، ومظاهر زائفة.

نظرة كامو هذه توجي إلى مدى اغتراب الإنسان في عصره هذا الغريب بكل مظاهره الزائفة.

- جون بول سارتر :

كان موقف سارتر ثابتا في معظم أعماله حول تلك المهازل البشرية المتمسكة والعادات والقيم الاجتماعية، وقد أظهر نفوره واشمئزازه من تلك النماذج البشرية المتخذة من القيم الاجتماعية قناعا تخفي به حريتها ومسؤوليتها.

يقول: إن الإنسان لن يكون حقا إنسانا، إلا إذا أدرك حدة قدره الشخصي، من غير أي لجوء إلى مهزلة الأوضاع والمسالك الاجتماعية<sup>2</sup>؛

<sup>1</sup> - محمد زكي العشماوي، المرجع السابق، ص 61 - 62.

<sup>2</sup> - سميرة سلامي، المرجع السابق، ص 55.



بمعنى أنه يجب على الإنسان أن يغترب عن التقاليد والقيم التي تكبح عندها  
حريته، ويصبح مسيرا لا مخيرا.

وقد خصص سارتر جزءا معتبرا من مؤلفه الوجود والعدم لدراسة  
علاقات الناس ببعضهم البعض، ليذهب إلى أن جوهر تلك العلاقات هو  
التصادم المستمر والتنازع، فكل ذات تحاول التحرر من سلطات الغير، فهي  
تريد أن توجد وتحقق مشروعها الخاص دون اهتمام بمشاريع الآخرين، ومن  
ثمة فالوحدة - حسب سارتر - مع الغير غير قابلة للتحقيق، وبالتالي يبقى  
الإنسان دوما غريبا عن الآخرين<sup>1</sup>، كما يرى سارتر أنه حتى الحب مشروع  
غير قابل للتحقيق، فحب إنسان لآخر لا يعدو أن يكون محاولة لجعل الآخر  
يحبه كذلك، فالحب يسعى إلى امتلاك المحبوب من خلال امتلاك حرته<sup>2</sup>،  
فمواساة إنسان وطمأنته بهدف التخفيف عنه وتحليصه من الحزن هو في  
الحقيقة عمل ضد حرته، فحسب سارتر أن حرية الحزين هي التي تصيره  
حزينا وكل عمل لتحريره من هذا الحزن هو حد لحرته، فاحترام حرية الغير  
كلمة لا معنى لها؛ لأن كل موقف يتخذه تجاهه يعد انتهاكا لحرته، وقد  
جسد سارتر نظريته تلك في مسرحيته الشهيرة "الجميم" في المقولة المشهورة  
جهنم هي الناس الآخرون على لسان أحد شخصيات المسرحية<sup>3</sup>، وبما أن  
سارتر وجودي ملحد فإن فكرة عبثية الحياة تعد أساسية عنده إذ يقول: إن  
كل موجود يولد من غير سبب ويعيش بدافع من الضعف ويموت بالمصادفة<sup>4</sup>.

هذه النظرة السوداوية لحياة الإنسان هي في الحقيقة كافية لوحدها أن  
تبين بأن لا حرية له وبالتالي فحتى محاولة الحد من حرية الغير - التي لا

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 56.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 56 - 57.

<sup>4</sup> - حسام الخطيب، محاضرات في تطور الأدب الأوربي، مطبعة طربين، دمشق، 1975، ص 181.

يراها سارتر - كلمة جوفاء لا معنى لها ما دامت حريته غير موجودة في الأصل.

### - كولن ويلسن:

بالإضافة إلى مجموعة الوجوديين المذكورين ثمة أديب وجودي آخر عاش مشكلة الغربة، وحاول معالجتها في مؤلفاته، إنه كولن ويلسن، ففي كتابه المشهور "الغريب" أو "اللامتمي" "The outsider" يصور حياة ذلك الذي يكتشف عن طريق الصدفة زيف الحياة، وكذب الإنسان، ويعرف ويلسن اللامتمي بقوله: "إنه الإنسان الذي يدرك ما تنهض عليه الحياة الإنسانية من أساس واه، والذي يشعر أن الاضطراب والفوضوية هما أعمق تجذرا من النظام الذي يؤمن به قومه"<sup>1</sup>، ويتبع ويلسن طبيعة اللامتمي من خلال العديد من الأعمال الأدبية كقصة "الغريب" "لكامو" وأعمال إرنست همنجواي الأولى، كما يتبع اللامتمي الرومنسي في بعض أعمال قوته وشيللر ورامبو وما لارميه... إلخ، ويقر ويلسن بأن الجو الذي يتميز به عالم اللامتمي المعاصر جو كريب جدا، إن هؤلاء الأشخاص لا يرفضون الحياة فحسب، وإنما الكثير منهم يعاديه، وينتهي ويلسن إلى أن أهم ما يشغل بال اللامتمي هو عدم رغبته في أن يكون لامتميا<sup>2</sup>.

ويعلق محمد زكي العشماوي على ما أورده ويلسن من تحليلات لظاهرة الاغتراب، وما توصل إليه من اكتشافات بخصوص شخصية الغريب في كتاب اللامتمي بقوله: «يمكننا أن نتصور أن صورة الغريب عند ويلسن صورة الإنسان الذي أدرك للحظة ما أن كل مشاهد الحياة اليومية وأحداثها إنما تخفي عن الإنسان الحقيقة المرعبة؛ التي هي زيف هذا العالم

<sup>1</sup> - كولن ويلسن، اللامتمي، دار الآداب، بيروت، ط 3، 1982، ص 5.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 6-7.

وفساده، أن هذا الغريب متى ما وقعت عينه على الحقيقة تغيرت صورة الوجود في نظره فأمسى وقد انشق على ذاته، وفقد توازنه، وإذا هذا العالم يفقد قيمته في نظره، يشبه موقف الغريب هذا موقف رجل يجلس في دار من دور السينما، يشاهد عرضاً لرواية ما، تمر أمام عينيه مشاهد الرواية الواحد تلو الآخر وهو مشغول بما يرى، منصرف بوجدانه وإحساسه إلى ما يدور أمامه من أحداث، وإذا العرض يتوقف فجأة لعطل أصاب الجهاز، وإذا المشاهد التي تدور أمام الرجل تتوقف، وإذا الرجل يجد نفسه يواجه الحقيقة مرة واحدة فيدرك أن ما يدور أمامه من أحداث ليس الحياة، بل كان مجرد وهم من الأوهام، عندئذ يبدأ هذا الرجل في مجابهة الحقيقة المؤلمة؛ حقيقة أن كل شيء كان خداعاً، إن مثل هذا الموقف الذي يعانيه الغريب عندما يكتشف فجأة أن كل ما حوله في هذا العالم باطل من الأباطيل، من هنا تبدأ مشكلة الغريب، ويبدأ يتساءل كيف يمكنه أن يقبل الحياة التي قبلها غيره مع علمه بأنها حياة غير حقيقية<sup>1</sup>.

هذا التعليق للعشماوي والمتبوع بتمثيل لموقف الغريب يقرب صورة هذا الأخير الذي يبقى مشدوهاً بزيغ العالم وفساده، فإذا كان موقف الرجل الجالس في دار من دور السينما إدراكاً أن الحياة وهم من الأوهام؛ من خلال انقطاع البث البصري في لحظة ما، فما موقف الغريب الذي يرى مثل انقطاع هذا البث في الحياة كافة ودوماً؛ بمعنى أن الحقيقة غير ما يرى الإنسان، إنما الحقيقة يخفيها قناع يتوهم الإنسان بأنه وجه الحقيقة.

إذا يمكن إن نلخص آراء فلاسفة الوجودية في ما يلي:

<sup>1</sup> - محمد زكي العشماوي، المرجع السابق، ص 56.

يتفق أصحاب الفكر الوجودي على مبدأ واحد هو: "تحرير الإنسان من تسلط القوى الخارجية (من المجتمع، من الدولة، من القوى الديكتاتورية)، إنهم يريدون إنقاذ الذات الأصيلة (Authentic self) من أسر الذات غير الأصيلة (Unauthentic self)"<sup>1</sup>، ويمكن أن نجمل الاتجاهات المتناولة للاغتراب بعد هيجل فيما يلي<sup>2</sup>:

### \* الاتجاه المهتم بسلب المعرفة وعلاقتها بالاغتراب:

وقد تطرق لهذه القضية هيجل عندما تحدث عن التأليف بين الحرية والضرورة وخلص إلى نوعين من الاغتراب هما:

#### - اغتراب الخضوع:

حيث تنفصل ذات الإنسان عن توجيهها الخاص، وتخضع للتوجيه العام الذي يصدر عن العقل الموضوعي.

#### - اغتراب الانفصال:

وفيه تسلب الذات معرفتها بالعقل الموضوعي، وتصبح خاضعة للتوجيه الخاص.

وقد اهتم بهذه القضية من بعد هيجل كل من توكفيل ودوركايم ومل وتونيز وميرتون.

### \* الاتجاه المهتم بسلب الحرية وعلاقتها بالاغتراب:

وقد تطرق لهذه القضية كذلك هيجل عندما ربط حرية الفاعل باستيعابه للعقل الموضوعي، إذ تسلب الحرية في حالة غياب هذا

<sup>1</sup> - حسن محمد حسن حماد، المرجع السابق، ص 65.

<sup>2</sup> - السيد علي شتا، المرجع السابق، ص 7- 8.

الاستيعاب، وعندها تنفصل الذات عن العقل الموضوعي، وقد اهتم بالقضية من بعد هيجل كل من: ماركس وماكس فيبر وإيريك فروم.

### \* الاتجاه المهتم بالاستخدام المزدوج لمفهوم الاغتراب:

وقد تطرق أيضا للقضية هيجل حين ربط المفهوم ببعد سلب المعرفة في جانب، وبعد سلب الحرية في الجانب الآخر.

وقد اهتم بالقضية من بعد هيجل كل من: فرويد، كارل مانهيم، ماركيز، بارسونز.

\* وظهر أخيرا الاتجاه التحليلي لمفهوم الاغتراب على يد 'ميلفن سيمان' وقد اعتمد هذا الاتجاه على الاستخدامات المختلفة لمفهوم الاغتراب.

ولا بأس أن نتحدث قليلا عن هذا الاتجاه باختصار:

أشار 'ميلفن سيمان' في مقال له عن مفهوم الاغتراب إلى أن هناك خمس سمات أو مكونات تشكل منها الاغتراب كمفهوم مركب وتلك المكونات هي<sup>1</sup>:

(1) انعدام القوة 'Power lessness': ويعني شعور الفرد بأنه غير قادر على التأثير في المواقف الاجتماعية التي تحيط به.

(2) فقدان المعنى 'Meaning lessness': ويعني عجز الفرد عن اتخاذ القرار أو معرفة ما يجب أن يقوم به ويفعله.

<sup>1</sup> - مجدي احمد محمد عبد الله، الاغتراب عن الذات والمجتمع وعلاقته بسمات الشخصية، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 2001، ص8.

(3) العزلة 'Isolation': وتعني انفصال الفرد عن تيار الثقافة التي تسود، وتبنيه مبادئ ومفاهيم مخالفة، فيصبح غير قادر على مسايرة الأوضاع السائدة.

(4) فقدان المعايير 'Norm lessness': ويعني لجوء الفرد إلى استخدام أساليب غير مشروعة ليحقق أهدافه.

(5) غربة الذات 'Self estrangement': تعني أن يدرك الفرد بأنه أصبح مغتربا حتى عن ذاته.

وقد اهتم بإقامة التحليل على أساس نسقي كل من بروننج وفارمر وكرك وميتشل وجورج زولخان وفيليب جيبي<sup>1</sup>.

وبصورة عامة تميزت مرحلة ما بعد هيجل ببداية النظرة الأحادية إلى مصطلح الاغتراب؛ بمعنى التركيز على جانب واحد- هو الجانب السلبي- تركيزا يمكن القول بأنه قد طغى على الجانب الإيجابي أو كاد يطمسه، حيث اقترن المصطلح في الغالب بما يهدد وجود الإنسان ويهدد حريته وأصبح الاغتراب وكأنه مرض أصاب الإنسان الحديث<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - السيد علي شتا، المرجع السابق، ص 9.

<sup>2</sup> - عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2003، ص 22.

# الفصل الثاني

## الاغتراب من منظور عربي

1 - مفهوم الاغتراب:

أ - لغة:

جاء في لسان العرب في مادة 'عَرَبَ' <sup>1</sup>:

غربت الشمسُ تغربُ غروباً: غابت في المغرب، والغربُ: الذهاب والتنحي عن الناس... والعُرْبَةُ والغربُ: النوى والبُعد... وشَاوُ مُعَرَّبٌ ومُعَرَّبٌ: بعيد... والتغريبُ: النفي عن البلد وَعَرَبَ أي بَعَدَ ويُقالُ اغْرُبَ عني أي تباعد، ومنه الحديث أنه أمر بتغريب الزاني، والتغريبُ: النفي عن البلد الذي وقعت الجناية فيه... والتغريبُ: البُعدُ، وفي الحديث أن رجلاً قال له: إن امرأتي لا تردّ يدَ لأمسٍ فقال: غَرَبَها أي أبعدَها؛ يريد الطلاق، والعُرْبَةُ والغربُ: التروح عن الوطن والاغتراب قال المثلثس:

ألا أبلغا أفناء سعد بن مالك رسالة من قد صار في الغرب جانبه.

والاغتراب والتغريبُ كذلك... ورجل غُرِبَ وغريبٌ: بعيد عن وطنه؛ الجمع غرباء، والأنثى غريبة... وفي الحديث: إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعودُ غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء. واغترب الرجل: نكح في الغرائب، وتزوَّج إلى غير أقاربه... والاغتراب: افتعال من الغربة...

<sup>1</sup> - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج 5، 1997، ص 17 - 20.

ورجلٌ غريب: ليس من القوم، وتشتيه غُربان، قال طهمان بن عمرو الكلابي:

وإني والعبي في أرض مذحج غريبان، شتى الديار مختلفان

وما كان غض الطرف مثا سجيّة ولكتنا في مذحج غُربان

وأغرب الرجل: جاء بشيء غريب... وأغرب الفارس في جريه: وهو غاية الإكثار، والغرب والغربة: الحدة؛ ويقال لحَدّ السيف: غُرب... واستغرب في الضحك واستغرب: أكثر منه...

والغُرب: الدلو العظيمة... والخمر... والغُروب: الدموع حين تخرج من العين...

والغُرب: الخمر... والغُرب: الذهب، وقيل الفضة... والغُرب: ضرب من الشجر...

جاء في تاج العروس<sup>1</sup>:

الغُرب: النزوح عن الوطن كالغربة (بالضم)، والإغراب والتغُرب أيضاً: البعد، تقول منه: تُغُرب وَاغْتَرَب... والإغراب: الإمعان في البلاد، يُقال: أغرب القوم: انتووا، وأغرب في الأرض إذا أمعن فيها، كالتغريب، قال ذو الرمة:

فراح منصليتا يخذو حلالله أدنى تقاذفه التغريب والحبيب

واغترَب الرجل: نكح في الغرائب، وتزوج في غير الأقارب... والاغتراب: افتعال من الغربة...

<sup>1</sup> - مرتضى الزبيدي، تاج العروس، دار الفكر، بيروت، مج2، 1994، ص 179 - 183.



وجاء في محيط المحيط<sup>1</sup>:

تَغَرَّبَ الرَّجُلُ: بعد وأتى الغربة ونَزَحَ عن الوطن، وزيد أتى من قبل المغرب، واغْتَرَّبَ الرَّجُلُ: بعد ونزح عن الوطن وزيد تزوج في غير الأقارب، والغربة: النزوح عن الوطن... ويقال: الغربة عن الحال: عن حقيقة التعود فيه... والغريب البعيد عن وطنه.

وجاء في المنجد في اللغة والأعلام<sup>2</sup>:

تَغَرَّبَ: نزح عن الوطن... اغْتَرَّبَ: نزح عن الوطن... واغْتَرَّبَ: تزوج في غير الأقارب... استغرب الشيء وجده أو عَدَّهُ غريباً... استغَرَّبَ واستغَرَّبَ في الضحك: بالغَ فيه، استغرب الدمع: سَالَ.

يتضح مما ورد في المعاجم السابقة بأنه كاد أن يجمع واضعوها- مؤلفوها- على أن الاغتراب افتعال من الغربة وأهم معانيه: النزوح عن الوطن ومفارقتها، والبعد والنوى، والذهاب والتنحي عن الناس والانفصال عنهم بدوافع إرادية أو بدوافع إجبارية.

ب - اصطلاحاً:

ب-1) عند القدماء:

حظي مفهوم الاغتراب باهتمام العلماء والفقهاء العرب المسلمين ولعل أهم من خصه بالدراسة- بعد أن عاشه- أبو حيان التوحيدي، والذي استمد آراءه من تجربته الحياتية، أين أمضاها بائساً، فقيراً، منبوذاً، جاب البلدان، وقصد الأمراء، ولم يحظ بظائل، فحقق على كل الناس وأراد

<sup>1</sup> - بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1998، ص 154.

<sup>2</sup> - المنجد في اللغة والأعلام، منشورات دار المشرق، بيروت، ط 36، 1997، ص 547.

الانتقام منهم، كما أقدم على إحراق كتب له، معللا ذلك في رسالة أرسلها إلى صديق له كان قد لامه على فعلته تلك<sup>1</sup>، ومما جاء في الرسالة ما يلي: ولاني جمعت أكثرها للناس، ولطلب المثالة منهم ولعقد الرياسة بينهم، ولمد الجاه عندهم، فحزمت ذلك كله... ومما شحذ العزم على ذلك ورفع الحجاب عنه، أني فقدت ولدا نجيبا، وصديقا حبيبا وصاحباً قريبا، وتابعا أديبا ورئيسا منيبا، فشق علي أن أدعها لقوم يتلاعبون بها، ويدنسون عرضي إذا نظروا فيها، ويشمتون بسهوي وغلطي إذا تصفحوها... وكيف أتركها لأناس جاورتهم عشرين سنة، فما صح لي من أحدهم وداد؟ ولا ظهر لي من إنسان منهم حفاظ، ولقد اضطرت بينهم بعد العشرة والمعرفة في أوقات كثيرة... إلى بيع الدين والمروءة... وإلى ما لا يحسن بالحر أن يرسمه بالقلم، ويطرح في القلب صاحبه الألم<sup>2</sup>.

يتضح من الرسالة اغتراب أبي حيان اغترابا شديدا؛ إذ صار ينظر إلى من حوله من الناس بأنه لم يبق له منهم صديق ولا حبيب، نظرا لأنه لم يجد يد المساعدة من أحد في أوقات كانت عليه جد عصبية، وهذا ما جعله يحقد على جميع الناس. فعقد العزم على ألا يستفيدوا من آثاره، وقام بحرقها وهذا يعكس مدى انفصاله عن المجتمع وتنحيه عنه، وهذه الرسالة قد أشارت إلى اغترابه الشخصي. أما فيما يخص موضوع الاغتراب وما قام به من دراسة حوله، فقد ترك رسالة عن الغريب والغربة في كتابه "الإشارات الإلهية"، ومنورد أجزاء منها توضح رأيه في الموضوع، قال: "سألتني - رفق الله بك، وعطف علي قلبك - أن أذكر لك الغريب ومحنه وأصف لك الغربة وعجائبها... كيف أخفض الكلام الآن وأرفع وما الذي أقول وأصنع ولماذا

<sup>1</sup> - سميرة سلامي، المرجع السابق، ص 17 - 18.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 18.

أصبر وعلى ماذا أجزع؟ وعلى العلل التي وصفتها والعورات التي سترتها  
أقول:

حطت ركائبه ذليل	إن الغريب بحيث ما
ولسانه أبدا كليـل	ويد الغريب قصيرة
بعضا، وناصره قليل	والناس ينصر بعضهم

وقال آخر:

وما جزعا من خشية البين أخضلت دموعي، ولكن الغريب غريب

يا هذا: هذا وصف غريب نأى عن وطن بني بالماء والطين، وبعد  
عن آلاف له عهدهم الخشونة واللين، ولعله عاقرهم الكأس بين الغدران  
والرياض، واجتلى بعينه محاسن الحدق المراض ثم كان عاقبة ذلك كله إلى  
الذهاب والانقراض، فأين أنت من غريب قد طالت غربته في وطنه، وقل  
حظه ونصيبه من حبيبه وسكنه؟ وأين أنت من غريب لا سبيل له إلى  
الأوطان، ولا طاقة به على الاستيطان؟ قد علاه الشحوب وهو في كن،  
وغلبه الحزن حتى صار كأنه شن، إن نطق نطق خزيان منقطعا، وإن سكت  
سكت حيران مرتدعا، وإن قرب قرب خاضعا، وإن بعد بعد خاشعا وإن  
ظهر ظهر ذليلا، وإن توارى توارى عليلا، وإن طلب طلب واليأس غالب  
عليه، وإن أمسك أمسك والبلاء قاصد إليه، وإن أصبح أصبح حائل اللون  
من وساوس الفكر، وإن أمسى أمسى متتهب السر من هوائك السر، وإن  
قال قال هائبا وإن سكت سكت خائبا، قد أكله الخمول ومصه الذبول،  
وحالفه النحول، لا يتمنى إلا على بعض بني جنسه، حتى يفضي إليه

بكائنات نفسه ويتعلل برؤية طلعتة، ويتذكر بمشاهدته قديم لوعته، فينثر الدموع على صحن خده، طالبا للراحة من كده<sup>1</sup>.

وقد قيل: الغريب من جفاء الحبيب، وأنا أقول: بل الغريب من واصله الحبيب، بل الغريب من تغافل عند الرقيب، بل الغريب من حبابه الشريب، بل الغريب من يؤدي من قريب، بل الغريب من هو في غربته غريب، بل الغريب من ليس له نسيب، بل الغريب من ليس له من الحق نصيب، الغريب من غربته شمس جماله، واغترب عن حبيبه وعذاله، واغرب في أقواله وأفعاله وغرب في إدباره وإقباله، واستغرب في طمره وسرباله.

يا هذا: الغريب من نطق وصفه بالحنة بعد الحنة، ودل عنوانه على الفتنة عقيب الفتنة وبانت حقيقته فيه في الفينة حد الفينة، الغريب من إن حضر كان غائبا، وإن غاب كان حاضرا. الغريب من إذا رأيته لم تعرفه وإن لم تره لم تستعرفه، أما سمعت القائل حين قال:

م التعلل لا أهل ولا وطن      ولا نديم ولا كأس ولا سكن

هذا وصف رجل لحقته الغربة، فتمنى أهلا يأنس بهم، ووطنا يأوي إليه، وندما يحل عقد سره معه، وكأسا ينتشي منها، وسكنا يتوادم عنده. فأما وصف الغريب الذي اكتتفته الأحزان من كل جانب، واشتملت عليه الأشجان في كل حاضر وغائب، وتحكمت فيه الأيام من كل جاء وذاهب، واستغرقتة الحسرات على كل فائت وآيب، وشته الزمان والمكان بين كل ثقة ورائب، الغريب الذي لا اسم له فيذكر، ولا رسم له فيشهر، ولا طي له فينشر، ولا عذر له فيعذر، ولا ذنب له ليغفر، ولا عيب عنده فيستر، وفي الجملة أنت عليه أحكام المصائب والنوائب، وحطته بأيدي العواتب عن

<sup>1</sup> - أبو حيان التوحيدى، الإشارات الإلهية، تحقيق د. وداد القاضي، دار الثقافة، بيروت، ط 2، ج 1،

المراتب، فوصفه يحفى دونه القلم، ويفنى من ورائه القرطاس، ويشل عن تحبيره اللفظ.

هذا غريب لم يتزحزح عن مسقط رأسه، ولم يتزعزع عن مهبط أنفاسه، وأغرب الغرباء من صار غريبا في وطنه، وأبعد البعداء من كان بعيدا في محل قربه، لأن غاية المجهود أن يسلو عن الموجود، ويغمض عن المشهود، ويفضي عن المعهود، ليجد من يغنيه عن هذا كله بعباءة محدود ورفد مرفود وركن موطود وخذ غير محدود<sup>1</sup>.

يا هذا: الغريب من إذا ذكر الحق هجر، وإذا دعا إلى الحق زجر، الغريب من إذا أسند كذب، وإذا تظاهر عذب، الغريب من إذا امتار لم يمر، وإذا قعد لم يزر، يا رحمتا للغريب، طال سفره من غير قدوم، وطال بلاؤه من غير ذنب، واشتد ضرره من غير تقصير، وعظم عناؤه من غير جدوى. الغريب من إذا قال لم يسمعوا قوله، وإذا رآه لم يدوروا حوله، الغريب من إذا تنفس أحرقه الأسى والأسف، وإن كتم أكمده الحزن واللهف. الغريب من إذا أقبل لم يوسع له، وإذا أعرض لم يسأل عنه. والغريب من إذا سأل لم يعط، وإن سكت لم يبدأ. الغريب من إذا عطس لم يشمت، وإن مرض لم يتفقد. الغريب من إن زار أغلق دونه الباب، وإذا أستاذن لم يرفع له حجاب. الغريب من إذا نادى لم يجب، وإن هادى لم يجب.

اللهم إذا قد أصبحنا غرباء بين خلقك، فأنسنا في فنائك، اللهم وإن أمسينا مهجورين عندهم، فصلنا بجائلك.

يا هذا: الغريب في الجملة من كله حرقة، وبعضه فرقة، وليله أسف، ونهاره لهف، وغداؤه حزن، وعشاؤه شجن، ورداؤه ظنن، وجميعه فتن...

<sup>1</sup> - المصدر السابق، ص 82 - 85.

وسره علن، وخوفه وطن... الغريب من تهالك في ذكر الله متوكلا عليه، بل الغريب من توجه إلى الله قاليا لكل من سواه، بل الغريب من وهب نفسه لله متعرضا لجدواه.

أيها السائل عن الغريب... إذا أردت الحق، فانس ما سواه، وإذا أردت قربه، فابعد عن كل ما عداه، وإذا أردت المكانة عنده، فدع ما تهواه لما تراه...<sup>1</sup>.

هذا رأي أحد أكبر الأدباء والمفكرين العرب في الاغتراب، ويتضح في بداية الرسالة وكذا نهايتها بأنها عبارة عن إجابة لسائل عن الغريب والغربة. وقد وصف أبو حيان التوحيدي الغربة والغريب باستفاضة، ومن أراد أن يتحدث عن الغريب والغربة بعد حديثه هذا فليستح. وقد نتج حديثه هذا عن اغترابه من خلال تجربته الحياتية - كما ذكرنا - فقد اغترب في وطنه ثم اغترب عنه. وانتهى إلى الاغتراب عن ذاته والتصوف باعتزاله الحياة والناس والتوجه إلى الله. وقد تحدث التوحيدي في هذه الرسالة عن الاغتراب في وطنه، والاغتراب عن وطنه ثم الاغتراب عن الذات (التصوف). ورأى بأن الاغتراب عن المجتمع هو أشد أنواع الاغتراب قساوة وإيلاما. وهذا مما يدل على أن هذا المفكر قد عانى - في حياته - الويلات.

ويبدو أن التوحيدي قد وافق في آرائه بعض المحدثين الغربيين في نظرتهم إلى الحياة والاغتراب فيها، ففي قوله مثلا: قيل: الغريب من جفاه الحبيب، وأنا أقول: بل الغريب من واصله الحبيب وكأنه في قوله هذا يوافق الوجودي الألماني كيركيجورد الذي رفض الزواج بالتي أحبها، فكانت نظرتة هذه تشبه نظرة التوحيدي، بالإضافة إلى دعوته إلى الاعتزال عن الحشد (المجتمع) والتي تبناها أيضا التوحيدي.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 85 - 87.

بالإضافة إلى آراء التوحيدي في موضوع الاغتراب فإن الجاحظ أيضا تحدث في هذا الموضوع، وما قاله هذا التشبيه الرائع للغريب عن وطنه: "الغريب النائي عن بلده، المتنحي عن أهله، كالثور الناد عن وطنه الذي هو لكل سبع قنيسة، ولكل رام دريئة...<sup>1</sup>، فهو يرى أن الغريب عن وطنه يكون فريسة لكل المصائب والنكبات.

وبالإضافة إلى اهتمام الجاحظ والتوحيدي بمفهوم الاغتراب، فإن جمهور فقهاء الإسلام لم يهملوه، إذ اهتموا به وتحدثوا عنه وأوضحوه من وجهة النظر الإسلامية، فقسموه إلى درجات وأنواع هي:

#### - اغتراب الأوطان:

ويتميز باشتراك الناس جميعهم فيه، فكلهم في الدار الدنيا غرباء، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية بأن هذا الاغتراب ليس مذموما، كما ليس محمودا أيضا وقال فيه:

وحي على جنات عدن فإنها	منازلك الأولى وفيها المخيم
ولكننا سي العدو، فهل ترى	نعود إلى أوطاننا ونسلم؟
وأي اغتراب فوق غربتنا التي	لها أضحت الأعداء فينا تحكم؟
وقد زعموا أن الغريب إذا نأى	وشطت به أوطانه ليس ينعم
فمن أجل ذا لا ينعم العبد ساعة	من العمر إلا بعد ما يتألم <sup>2</sup>

كما نبه الإسلام إلى أن هذه الدنيا غير قارة، إنما هي آيلة إلى الزوال فهي ممر لا مقر، قال تعالى: "يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة

<sup>1</sup> - الجاحظ، الحنين إلى الأوطان، تصحيح الشيخ طاهر الجزائري، مطبعة المنار، مصر، ص 6.

<sup>2</sup> - سميرة سلامي، المرجع السابق، ص 23 - 24.

هي دار القرار<sup>1</sup>، وقال الرسول - ص - لعبد الله بن عمر: "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل"<sup>2</sup>، ويقول- في هذا الصدد أيضا- الإمام الفقيه ابن رجب الحنبلي: "المؤمن في الدنيا غريب لأن أباه كان في دار البقاء، ثم خرج منها، فهمه الرجوع إلى مسكنه الأول فهو أبدا يحن إلى وطنه الذي أخرج منه"<sup>3</sup>.

فالإنسان بهذه النظرة غريب دوما ما لم يعد إلى موطنه الأول (الجنة) التي أخرج منها أبوه آدم - عليه السلام - قسرا، كما يرى الفقيه ابن رجب الحنبلي أن الناس في هذه الدنيا ينقسمون إلى قسمين:

- قسم اهتم بزينه الدنيا ومتاعها، فاغتر بها وتناسى فضل الله عليه، فلا يشعر أفرادها بالاغتراب في هذه الدنيا؛ لانغماسهم في ملذاتها وفنائهم في حبها وعشقها.

- وقسم آمن بالله ولم يتناس فضله عليه فيشعر أفرادها بالاغتراب في هذه الدنيا؛ فهم في شوق دائم إلى موطنهم الأصلي - الجنة - لذا نجد لهم والحزن يسيطر على أكثرهم<sup>4</sup>.

- اغتراب الحال:

وصف أحد شيوخ الإسلام المغترب من هذه الدرجة بأنه "من الغرباء الذين طويبي لهم"، وهو رجل صالح في زمان فاسد بين قوم فاسدين، أو عالم بين قوم جاهلين، أو صديق بين قوم منافقين<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - سورة غافر، الآية 39.

<sup>2</sup> - صحيح الإمام الترمذي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ج 2، ص 54.

<sup>3</sup> - سميرة سلامي، المرجع السابق، ص 25.

<sup>4</sup> - المرجع السابق، ص 24 - 25.



ومن كلامه هذا يتضح بأن غرباء الحال ثلاثة: رجل صالح بين قوم فاسدين أو رجل عالم بين قوم جاهلين أو رجل صادق بين قوم منافقين.

فاغتراب الحال بالمعنى الإسلامي هو انعزال وانفصال الإنسان المؤمن عن الحياة الاجتماعية الزائفة بمفارقة شهواتها ومعاربة شبهاتها وبدعها، وقد مدح الإسلام هذا النوع من الاغتراب كما وعد الأخذين به بالأجر العظيم<sup>2</sup>.

- اغتراب الهمة:

وهو اغتراب العارفين<sup>3</sup>، ويعتبر أعلى درجات الاغتراب؛ لأن اغتراب الأوطان اغتراب بالأبدان، واغتراب الحال اغتراب بالأفعال

\* - ويشير في قوله إلى الحديث الشريف: " بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغريباء، وقد سئل - ص - عن الغريباء هؤلاء فجاءت إجابته على روايات متعددة منها: أنهم المصلحون لما أفسد الناس، أنهم النزاع من القبائل، أنهم قوم قليل في ناس سوء كثير، ويتضح من كل الروايات بأن الغريباء هؤلاء هم فئة قليلة من أهل التقوى تمسكت بما جاء به الإسلام، فبدأ الإسلام غريباً لما كان عليه الناس من ضلالة وجاهلية جهلاء، أين عادوه وعارضوه، فأصبح المسلم غريباً في = حيه وقبيلته، يؤذى ويعذب ويهاجر فكان غريباً حقاً، لكن غريته كانت ممدوحة فهي غربة أهل الحق، وقد زالت هذه الغربة حين عز الإسلام فخلا من وصف الغربة والاتصاف بها، ولكن حينما خرج بعضهم عن تعاليمه وظهert البدع عاد الإسلام غريباً كما كان، وعاد معه المسلم كذلك حين وجد الشيطان مكاناً له بين المسلمين، فافتتنوا بالشهوات والشبهات... (ينظر المرجع نفسه ص 25 - 29).

1 - المرجع نفسه، ص 25.

2 - المرجع نفسه، ص 30.

3 - العارفون هم المتصوفة، أصحاب المعرفة الذوقية، الذين يسعون للاتصال بالله، وتحصل معرفتهم نتيجة لجهاد النفس وقطع العلائق بكل ما سوى الله، والفناء في محبته وعشقه، وقد تجتمع لهذه الفئة انماط الاغتراب جميعها عن الوطن وعن الذات وعن العالم الأرضي كله فهؤلاء مغتربون عن كل شيء سوى الله، وعلى الرغم من اغترابهم ذلك كله إلا أنهم لا يشعرون به، بل يجدون لذة ومتمعة فيه ما بعدها لذة ولا متمعة تنسيهم هموم الدنيا والوجود. ( ينظر المرجع نفسه، ص، 30 - 31).

والأحوال، أما هذا الاغتراب فهو اغتراب بالهمم، فالعارفون غرباء بين جميع الخلق، وقد عرف أحد الفقهاء هذا النوع من الاغتراب بقوله: "وغربة الهمة هي غربة طلب الحق... وهي غربة العارف... وغربة العارف غربة الغربة، لأنه غريب الدنيا والآخرة"<sup>1</sup>.

## ب - 2 ) عند المحدثين:

أصبح الاغتراب حالة شائعة ومميزة للإنسان في العصر الحديث وقد تعددت مفاهيمه نتيجة للزخم المعرفي الهائل المميز للعصر، نتيجة كذلك لتداخل الحقول المعرفية على كثرتها، يقول محمود رجب: "إن الكلمات شأنها شأن الأشخاص والشعوب لا تنشأ في فراغ وإنما تنشأ في قلب المجتمع البشري، ومن الصعب فهم دلالتها حق الفهم بمعزل عن المشكلات الإنسانية، والظروف التاريخية التي مرت بعصور من استخدموها من مفكرين وفلاسفة..."<sup>2</sup>.

يتضح من نص هذا الباحث بأنه لا يمكن فهم دلالة كلمة ما بفصلها عن السياق التاريخي والاجتماعي لمستخدميها من المفكرين والفلاسفة.

وسنحاول فهم دلالة كل من مصطلحي الغربة والاغتراب باستعراض آراء بعض المحدثين:

يقول عمر بوقرورة: " الغربة ظاهرة قديمة رافقت المجتمعات البشرية منذ بدء الخليقة، ولكنها كانت غربة واضحة المفهوم والمصطلح، بينما

---

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 30.

<sup>2</sup> - محمود رجب، الاغتراب سيرة مصطلح، دار المعارف، مصر، ط 2، 1986، ص 8.

اتخذت لها صورا معقدة في العصر الحديث بل صارت من أكثر المفاهيم إثارة للجدل بسبب التعاريف الكثيرة التي وضعت لها<sup>1</sup>.

يشير بوقرورة في حديثه إلى صعوبة ضبط مفهوم الغربة بسبب كثرة التعاريف الموضوعة له على اختلافها - في العصر الحديث - وربما يمكن رد ذلك إلى ما سلف ذكره من تميز هذا العصر بزخم معرفي هائل، أين تداخلت فيه الحقول المعرفية، وأصبح من الصعوبة فهم دلالة مصطلح بعينه شاملا.

ويعرف الدكتور يوسف عز الدين الغربة بقوله: 'الغربة هي الإحساس الداخلي بأن الفرد معزول عن المجتمع الذي يعيش فيه، بما يراه بعيدا عن عاداته وتقاليده، وطرأ حياته الذي ألفه في وطنه، وأحيانا في أشكال الناس ولغاتهم وعاداتهم الاجتماعية...'<sup>2</sup>.

يبدو من تعريف الدكتور هذا أن الغربة المقصودة هي الغربة عن الوطن وهذا ما تفسره العبارات الواردة في نهاية التعريف.

وترى الدكتورة أحلام الزعيم بأن: '... الاغتراب في أبسط معانيه هو تصدع الذات ذات الفرد، وانشقاقها نتيجة عدم توافرها مع المجتمع والعالم المحيط بها...'<sup>3</sup>.

تشير الدكتورة بمحديتها هذا إلى الاغتراب عن الذات والاعتراب عن المجتمع؛ فحينما تصبح الذات غير منسجمة مع المجتمع ومع العالم المحيط بها

<sup>1</sup> - عمر بوقرورة، الغربة والحنين في الشعر العربي الحديث في الجزائر، منشورات جامعة باتنة، 1997، ص 13.

<sup>2</sup> - يوسف عز الدين، قديم لا يموت جديد لا يعيش، دار الإبداع الحديث للنشر والتوزيع، ص 249.

<sup>3</sup> - أحلام الزعيم، أبو نواس بين العبث والاعتراب والتمرد، دار العودة، بيروت، ط 1، 1981، ص 67.

تنشق عنهما وتنفصل ويصبح الفرد مغتربا عن ذاته المتصدعة وعن المجتمع الذي لم يتوافق معه.

ويرى الدكتور علي وطفة بأن: "مفهوم الاغتراب يشير إلى النمو المشوه للشخصية الإنسانية، حيث تفقد فيه الشخصية مقومات الإحساس المتكامل بالوجود والديمومة، وهو الحالة التي يتعرض فيها جوهر الشخصية للقسر والإكراه، فعندما تتعرض الشخصية الإنسانية في جوهرها العقلي، أو الثقافي، أو الاجتماعي لنوع من التشويه والاعتصاب، تحدث عملية اغتراب وتشويه"<sup>1</sup>.

يحيل حديث الباحث هنا إلى نتيجة مفادها أن الاغتراب لا يمكن أن يحدث كوليّد للحظة آنية، إنما تعرض الشخصية الإنسانية لأزمة ما يصيبها بتشوه، وغو هذه الشخصية بالصورة المشوهة يستلزم اغترابها، فبداية عملية الاغتراب تكون أثناء تعرض الشخصية لأزمة حادة تشوهها.

ويرى صلاح أبو ناهية بأن "مفهوم الاغتراب يشير إلى حالة انفصال بين الفرد والموضوع وبين الفرد والأشياء المحيطة به، بين الفرد والمجتمع، علاقة الفرد بالأشياء أو بالموضوع علاقة غير سوية، فهو يعيش في مجتمعه وبين أهله في دائرة الغربة، يعيش في عالم مجرد من القيم يسوده جو كره، لدرجة أنه لا يرفض الحياة فقط، بل يعاديها أيضا، والحالة الأخيرة تعني أن الفرد دخل إلى عالم اللانتماء، وأنه في هذه الحالة قد يتميز بفقدان الحس وغياب الوعي"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - علي وطفة، المظاهر الاغترابية في الشخصية العربية، مجلة علم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مج 27، ع2، 1998، ص 247.

<sup>2</sup> - صلاح أبو ناهية، (الاغتراب، المنهاج، التطوير) مفاهيم فلسطينية شائعة، مجلة التقويم والقياس النفسي والتربوي، ع6، 1995، ص 173.

إن الاغتراب إذا لا يكون عن المجتمع أو الذات فقط أو الوطن إنما يكون عن جميع الأشياء المحيطة بالمغترب وربما كانت إشارة ماركس إلى اغتراب الناتج عن منتجه كدليل على اغتراب الإنسان عن الأشياء، فإذا رفض الفرد القيم السائدة في مجتمعه وتنحى وانفصل عنه فإنه حتما يكون قد دخل دائرة اللانتماء على الأقل بالنسبة لدائرة المجتمع الذي يعيش فيه.

ويرى نبيل راغب بأن: " الاغتراب هو حالة نفسية تلازم الإنسان وتشعره بالألم والحزن سواء كان هذا الإنسان في وطنه وبين أهله، أم كان بعيدا عنه"<sup>1</sup>، في حين أن قيس النوري يرى بأن الاغتراب هو: " الانفصال عن المجتمع وثقافته"<sup>2</sup>.

فالاغتراب المقصود في كلام نبيل راغب يبدو أنه الاغتراب عن الذات ما دام هو الحالة النفسية الملزمة للفرد في وطنه وخارجه فالمجتمع هنا يبدو وأنه غير مسؤول عن أزمة المغترب كما لا يعد طرفا أيضا في عملية الاغتراب، أما حديث النوري فإنه يشير إلى الاغتراب عن المجتمع ما دامت عملية الانفصال تكون عنه وعن ثقافته.

كما يرى الدكتور السيد علي شتا بأن: " الاغتراب عرض عام مركب من عدد من المواقف الموضوعية والذاتية التي تظهر من أوضاع اجتماعية وفنية، يصاحبها سلب معرفة الجماعة وحريتها بالقدر الذي تفقد معه القدرة على إنجاز الأهداف، والتنبؤ في صنع القرارات، ويجعل تكيف الشخصية والجماعة مغترباً"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - نبيل راغب، مفهوم الاغتراب في الأدب، مجلة الفيصل، ع96، 1985، ص47.

<sup>2</sup> - قيس النوري، الاغتراب اصطلاحاً ومفهوماً وواقعاً، مجلة عالم الفكر، ع1، 1979، ص18

<sup>3</sup> - السيد علي شتا، المرجع السابق، ص322.

يتضح من كلام السيد علي شتا بأن الاغتراب هو سمة من سلبت  
حرية ومعرفة وهي الفكرة التي بلورها هيجل من خلال إشارته إلى  
الاغتراب المزدوج القائم على سلب الحرية والمعرفة الذي يصير صاحبه إلى  
عالم اللاقدرة عن إنجاز أي شيء أو اتخاذ أي قرار فتصبح ذاته وكأنها  
مشلولة.

وقد حاول الدكتور عبد الإله الصائغ جمع دلالات الاغتراب في هذا  
الحقل: 'الاغتراب هو عشق التجديد، تغريب المتلقي، وإبقاؤه منفصلاً حيث  
لا يحدث الاندماج الانفعالي بالنص الاغتراب عن الذات لحظة تشكيلها  
صورة للعالم، نقداً للآخر الذي يعيش خارج الجلد، يجعل شيئاً ما ملكاً  
للآخر، انعكاس لزيادة الوعي على السلوك والهيئة، شعور بخلل ما، نقص  
في المغترب يقابله اكتفاء أو زيادة في الآخر، أو زيادة في المغترب يقابلها  
نقص في الآخر، الاغتراب أسئلة غامضة بلا أجوبة، الاغتراب طغيان الحرية  
على منظومة استيعاب المبدع، فقدان الحرية نتيجة القنوات الفيزيقية أو  
الميتافيزيقية، الجمالية والميتا جمالية، خوف من الموت أو رغبة فيه، نهم للحياة  
أو زهد فيها، الاغتراب... موت الصبر وانبعاث الحلم المستحيل، الحنين إلى  
الماضي، النص المغترب عمل شاذ كتبه شاذ لمجتمع شاذ، الغربة عن الطبيعة  
والأصحاب والذات جزء من تصاعد المبدع في معراج النمو، الاغتراب  
كامن في كل الأزمنة والأمكنة والحضارات، ولكن تعبيراته مختلفة...'<sup>1</sup>

يمكننا القول بأن عبد الإله الصائغ قد جمع معظم دلالات الاغتراب -  
إن لم نقل كلها- وبناء على كل التعريفات التي أوردناها في هذا الحقل يتبين  
لنا بأن الاغتراب: هو حالة نفسية يشعر فيها الإنسان بالانفصال من خلالها  
- عن أفراد المجتمع وعدم التوافق والانسجام والتوافق معهم والشعور

<sup>1</sup> - عبد الإله الصائغ، الخطاب الشعري الحدائوي والصورة الفنية، المركز الثقافي العربي، 1999،  
ص 300-301.

بالعزلة وسط الأفراد لعدم القدرة على التكيف معهم، أو الانفصال عن الذات.

ونختم الحديث عن مفهوم الاغتراب عند المحدثين بما جاء في أحد المعاجم الفلسفية الحديثة: "...فلسفيا يفيد الاغتراب عملية تحويل منتجات النشاط الإنساني والاجتماعي إلى شيء مستقل عن الإنسان، ومتحكم فيه..."<sup>1</sup>.

هذا التعريف يشير إلى الاغتراب الناتج عن متجه الإنسان.

## 2 - جذور الاغتراب في الشعر العربي:

### أ - الاغتراب في الشعر الجاهلي:

من البديهي أن يكون للبيئة الصحراوية وظروفها الصعبة والنظام الاجتماعي دور في إحساس الإنسان الجاهلي بالغربة، كما أن لأسلوب الحياة ونظامها القبلي الدور في نظم الأشعار المفعمة بالغربة والوحشة.

فالعربي كان يئن ويتوجع ويحس بالموت من كثرة التنقل لأسباب كثرة يجيء في مقدمتها الأسباب الاقتصادية والاجتماعية<sup>2</sup>.

وسنحاول أن نستنتق من الملاحظات ما يدلنا على عمق غربة أصحابها ووحشتهم.

ففي معلقة لبید تسبب خلو الديار من أصحابها إلى تكاثر الوحوش بعد أن أنست المكان وبوقوف لبید بالأطلال تذكر حبيبته نوار ووعى ما يسببه النأي من ألم للمحيين يقول:

<sup>1</sup> - مراد وهب، المعجم الفلسفي، دارقبا للطفاعة، القاهرة، ط4، 1998، ص80.

<sup>2</sup> - عبده بدوي، الغربة والاغتراب والشعر، دارقبا للطفاعة والنشر، 1998، تقديم احمد غريب.

عفت الديار، محلها فمقامها      بمنى تأبّد غولها فرجامها  
 دمن تجرم بعد عهد أنيسها      حجج خلون، حلالها وحرامها  
 فعلا فروع الأيهقان وأطفلت      بالجلهتين ظيأوها ونعامها  
 بل ما تذكّر من نوار، وقد نأت      وتقطعت أسبايقها وربماؤها<sup>1</sup>؟

وفي معلةقة النابغة، تحدث كذلك عن خلو الديار من الأنس، فتبدل  
 الموضوع نظرا لطول مدة تغيبه عنه، وأصبح النابغة مقتنعا بأن ما مضى لن  
 يعود وربما هذا هو المؤلم والأشد إيلاما له، يقول:

يا دار مية بالعلياء فالسُّنْدِ      أقوت وطال عليها سالف الأبد  
 وقفت فيها أصيلا كي أسائلها      عيت جوابا وما بالريع من أحد  
 أمست خلأً وأمسى أهلها احتملوا      أخنى عليها الذي أخنى على لبدي  
 فعد عما ترى إذ لا ارتجاع لهُ      وانم القتوذ على عيرانة أحد<sup>2</sup>.

ويعتبر امرؤ القيس من أكبر الشعراء الجاهلين الذين ذاقوا مرارة  
 الاغتراب، فقد تغرب امرؤ القيس حين أنكر عليه أبوه قول الشعر وخرج  
 مغضوبا عليه في نفر من شذاذ طيء وكلب بعد أن شب بإحدى نساء أبيه<sup>3</sup>،  
 وما يعرف عن امرؤ القيس أنه عزم بعد مقتل أبيه على الأخذ بثأره  
 واسترجاع مكانته، فاغترب عن وطنه واتجه إلى ملك الروم لكسب دعمه،  
 وهناك أحس بالمرء الغربة جراء مفارقة أهله<sup>4</sup>، ومما قاله:

<sup>1</sup> - لبيد، الديون، شرح الطوسي، تقديم د. حنا نصر الحنّي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1996، ص 199 - 208.

<sup>2</sup> - النابغة الذبياني، الديوان، تحقيق وشرح كرم البستاني، دار صادر، بيروت، ص 30 - 31.

<sup>3</sup> - محمد راضي جعفر، الاغتراب في الشعر العراقي (ينظر الموقع: [http:// www. Awu - dam.org](http://www.Awu-dam.org))

<sup>4</sup> - سميرة سلامي، المرجع السابق، ص 71.



تذكرت أهلي الصالحين وقد أنت على خملى خوُصُ الركاب وأوجرا  
فلما بدت حورات في الآل دونها نظرت فلم تنظر بعينيك منظرا  
تقطع أسباب اللبانة والهوى عشية جاوزنا حماة وشيزرا<sup>1</sup>.

وحصل وأن رأى امرؤ القيس قبرا لامرأة من أبناء الملوك ماتت هناك  
ودفنت في سفح جبل يقال له 'عسيب' فاستفسر عنها وأجيب<sup>2</sup>، فاستأنس  
برمس هذه الرومية وقال:

أجارتنا إن الخطوب تنوبُ وإني مقيم ما أقام عسيب  
أجارتنا إنا غريبان ههنا وكل غريب للغريب نسيب<sup>3</sup>.

هذا اغتراب شاعر من طبقة مالكة، ولكن هناك طبقة هي الأكثر  
اغتراباً نظراً لما تعانيه من استغلال وسلب للحرّيات ألا وهي طبقة العبيد.

فهذا الشاعر عنتر بن شداد العبسي وقد عاش قسماً من حياته عبداً -  
قبل أن تعاد له الحياة كما كان يجب أن تكون من قبل - وقد صوّر لنا لونا  
من ألوان الاغتراب العنصري أو العرقي نظراً لسواد لونه والذي كان نقمة  
عليه من طرف قبيلته بما في ذلك أبوه وعمه، كما كان لنسبه إلى أمه 'الأمّة'

---

<sup>1</sup> - امرؤ القيس، الديوان، تحقيق حسن نور الدين، منشورات دار الحكايات، لبنان، ط1،  
2003، ص187.

<sup>2</sup> - أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق سمير جابر، دار الفكر، بيروت، ط2، ج2، ص118.

<sup>3</sup> - امرؤ القيس، الديوان، ص198.

وورد البيت الأول في الأغاني (ج 9، ص 119) هكذا:

أجارتنا إن المزار قريب وإني مقيم ما أقام عسيب

فيتضح من هذه الرواية أن الشاعر يقن بالهلاك وأحس بقرب أجله وهذا ما تؤيده الروايات  
من اشتداد المرض به في البلاد الرومية - أواخر حياته - وهلاكه هناك.

الحبشية " كبير الأثر في إبعاد أهله له، وقد عذَّب وأهين فأحس بمرارة ذلك  
الاغتراب وصرَّح قائلا:

المال مالكم والعبد عبدكم      فهل عذابك عني اليوم مصروف<sup>1</sup>

فعنترة أحس بعدم الانسجام مع مجتمعه وقيمه على الرغم من تصريحه  
بالانتماء إليه وعلى الرغم من تقديمه خدمات جليلة لقومه إلا أنه قوبل  
فيما بعد بالإجحاف في حقه، يقول:

أذكر قومي ظلمهم لي وبغيهم      وقلة إنصافي على القرب والبعد  
بنيت لهم بالسيف مجدا مشيدا      فلما تناهى مجدهم هدموا مجدي<sup>2</sup>.

أما طرفة بن العبد فبالإضافة إلى اليتيم وما ينجم عنه من آلام فقد  
ظلمه أعمامه وهم أقرب المقربين إليه، فأحس بمرارة غربة اليتيم والظلم  
وقساوتها وقال مصرحا بشدة مرارة ظلم ذوي القربى:

وظلم ذوي القُربى أشد مضاضة      على المرء من وقع الحسام المهند<sup>3</sup>

وكما نعلم بأن كثرة الضغط تولد الانفجار، فطرفة لما ازداد ظلم  
أعمامه له وكان عزيز النفس تمرد وهدد أعمامه، مذكرا إياهم بحقوق أمه  
ومطالبها بها<sup>4</sup> قائلا:

ما تنظرون بحق وردة فيكم      صغر البنون ورهط وردة غُيبُ  
قد يبعث الأمر العظيم صغيره      حتى تظل الدماء له تصبَّبُ

<sup>1</sup> - عنتره، الديوان، تحقيق عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي، المكتبة التجارية، القاهرة، ص109.

<sup>2</sup> - المصدر السابق، ص89.

<sup>3</sup> - طرفة بن العبد، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1979، ص36.

<sup>4</sup> - سميرة سلامي، المرجع السابق، ص73.

والظلم فرق بين حيي وائل بكر تساقىها المنايا تغلب  
أدوا الحقوق نفر لكم أعراضكم إن الكريم إذا يجرب يغضب<sup>1</sup>

واغترب طرفة عن تقاليد مجتمعه وأعرافه بنزوعه إلى الاستهتار والاستهانة بالقيم والأعراف السائدة، والجري وراء الملذات - الخمر والنساء - فكان رد الفعل أن غرّبه المجتمع ونبذه، فعاش منفردًا وحيداً<sup>2</sup>، وهذا ما يخبرنا به في قوله:

وما زال تشرابي الخمر ولذتي ويبيعي وإنفاقي طريقي ومتلدي  
إلى أن تحامتي العشيرة كلها وأفردت أفراد البعير المعبد<sup>3</sup>.

فطرفة بقوله هذا يؤكد بأنه لم يُنبذ من طرف فرد واحد من قومه بل العشيرة كلها قد نبذته، فأصبح وحيداً فريداً وكم هي مرّة الحياة لما يصير فيها الإنسان موضع اتهام الجميع واحتقارهم لسبب أو لآخر.

وظهر الاغتراب عن المجتمع جلياً عند فئة من الشعراء الجاهليين، هي فئة الشعراء الصعاليك\* وعلى رأسهم الشنفرى الذي يقول:

1 - طرفة، المصدر السابق، ص 11 - 12.

2 - سميرة سلامي، المرجع السابق، ص 74.

3 - طرفة، المصدر السابق، ص 41.

\* - يمكن تمييز مجموعتين فيهم:

. مجموعة فرض عليها الاغتراب فرضاً، وهم الشعراء الخلاء الذين نبذتهم قبائلهم وطردتهم وقطعت بينهم وبينها كل صلة، بسبب مخالفتهم منطق القبيلة وقوانينها، ومن هؤلاء قيس بن الحدادية، وحاجز الأزدي والشعراء السود أبناء الإماء الذين لم يعترف بهم أبائهم مثل الشنفرى تأبط شراً، السليك بن السلك، أبو الطمحان القيني.

. مجموعة اختارت الاغتراب بإرادتها، بسبب الظلم الاجتماعي والاقتصادي الذي تعرضت له ويمثل هذه المجموعة الصعاليك الفقراء المتمردون وعلى رأسهم عروة بن الورد. (ينظر: سميرة سلامي، المرجع السابق، ص 74).

أقيموا بني أمتي صدور مطيكم      فإني إلى أهل سواكم لأميل  
ولي دونكم أهلون سيد عملس      وأرقت زهلول وعرفاء جبال  
هم الأهل لا مستودع السر ذائع      لديهم، ولا الجاني بما جرّ يخذل<sup>1</sup>.

فالشنفري قد اغترب وذاق مرارة الاغتراب حتى إنه لم يجد له أهلاً إلا من وحوش الصحراء، وأي اغتراب كهذا؟ حين يرى الإنسان أن الحيوان أفضل بكثير من بني جنسه، فيتخذ منه أهلاً - دون أهله الذي ينس منه - لحفظ الأسرار والاستئناس.

ويتجه تأبط شرا نفس اتجاه الشنفري حين يلجأ إلى عالم الحيوان والوحوش من دون عالم البشر ويتخذ منه أنيساً يقول:

بيت بمغنى الوحش حتى الفئ      ويصبح لا يحمي لها الدهر مرتعاً  
رأين فتى لا صيد وحش يهته      فلو صافحت إنساً لصافحتة معاً<sup>2</sup>.

أما عروة بن الورد فهو يسخر من قيم مجتمعه الذي لا يهتم إلا بالمظهر المادي للإنسان دون النظر إلى جوهره، فهو يحتقر الفقير لفقره ويبجل الغني لغناه، يقول مخاطباً زوجته<sup>3</sup>:

دعيني للغنى أسعى فإني      رأيت الناس شرهم الفقير  
وأبعدهم وأهولهم عليهم      وإن أمسى له حسب وخير  
ويقصيه الندي وتزديره      حليته وينهره الصغير  
ويُلقي ذو الغنى وله جلال      يكاد فؤاد صاحبه يطير  
قليل ذنبه والذنب جَم      ولكن للغني رب غفور<sup>1</sup>.

1 - الشنفري، الديوان، إعداد وتقديم طلال حرب، دار صادر، بيروت، 1996، ص 55.

2 - سميرة سلامي، المرجع السابق، ص 79.

3 - المرجع نفسه، ص 78.

فعروة هذا يحدث زوجته - مبرراً سعيه للغنى - انطلاقاً من رؤيته بوجهه نظر الناس إلى الفقير فهم يحتقرونه مهما كان حسبه، وتبلغ به درجة الانحطاط في المجتمع إلى احتقار زوجته له والصغار، على نقيض الغني الذي يبجله ويقدمه الكل مهما أذنب. وواضح أن حديث عروة هذا هو نقد للمجتمع وللمعايير التي يصنعها للحكم على أفرادها، فهو لا يدعو في حديثه إلى السعي للغنى إيماناً بأن درجة الفقير وضيفة؛ إنما يدعو لمواجهة هذا المجتمع بالطرق الكفيلة التي تضمن للفرد الحفاظ على كيانه وحرية وقيمته ودرجته في المجتمع.

ومن أشد صور الاغتراب في الجاهلية إثارة للرعب والطلع غربة الموت، وتخيل وحشة القبر مع فراق الأهل والأصحاب، وبالتالي الاغتراب الأبدي في هذا المأوى الأخير، وقد عبّر أبو الطمحان القيني عن هذه الأحاسيس<sup>2</sup> في قوله:

ألا عللاني قبل نوح النوائح      وقبل ارتقاء النفس بين الجوائح  
ويعد غد يا لهف نفسي على غد      إذا راح أصحابي ولست برائح<sup>3</sup>.

فالشاعر يتخيل يوم يوارى التراب، ويذهب عنه أصحابه، ويترك وحيداً في الحدث بوحشته وظلمته لذلك فهو يدعو الفرد إلى وعي خطورة الموقف وصعوبته قبل إدراك لحظة المواجهة بالحقيقة الواقعة، فكما هو معلوم بأنه لا أمل للإنسان بخلاص إلهي بعد الموت في العصر الجاهلي فالموت هو نهاية كل إنسان؛ أين تكبح عجلة حياته وتتوقف، فهذا بشر بن

1 - عروة بن الورد، الديوان، شرح ابن السكيت، تقديم راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1997، ص63.

2 - سميرة سلامي، المرجع السابق، ص81.

3 - أبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق، ج13، ص14 - 15.

أبي حازم الأسدي يتحدث عن النهاية المعلومة للإنسان، ويدعو إلى التآسي على النفس التي ستلقى في اللحد كل الوحشة والغربة والنأي يقول:

نوى في ملحد لا بد منه      كفى بالموت نأيا واغتراباً  
رهين بلئى وكل فئى سئلى      فسحى الدمع وانتحي انتحاباً  
مضى قصد السبيل وكل حي      إذا حانت منيته أجاباً<sup>1</sup>

ويقول تميم بن مقبل:

ما أطيب العيش لو أن الفتى حَجَرُ      تنبو الحوادث عنه وهو ملموم<sup>2</sup>

فتميم في هذا البيت يتمنى لو أنه كان حجرًا حتى لا يغير الزمن فيه شيئًا، وربما كان انتماء هذا الشاعر إلى جنس البشر قد حثَّم عليه بعض الواجبات التي ترتبت عليها مسؤوليات فرأى بأن لا مفر من هذه المسؤوليات إلا إذا تشبَّأ، ليستطيع بذلك تجاوز كل الحوادث.

### ب - الاغتراب في شعر الفتوحات الإسلامية:

تطورت دوافع الاغتراب بعد ظهور الإسلام؛ إذ تراجع الأساس القبلي مقابل الأساس الإسلامي، واقتضت الضرورة خروج الجيوش الإسلامية إلى مختلف الاتجاهات لنشر الرسالة السماوية، وكان الفاتحون -

<sup>1</sup> - بشر بن أبي خازم، الديوان، تحقيق د. عزة حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1960، ص 27.

<sup>2</sup> - تميم بن مقبل، الديوان، تحقيق د. عزة حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1962، ص 273.

في بعدهم هذا عن وطنهم - يحسون بالغربة<sup>1</sup>، فهذا أحدهم يشكو غربته إلى قمرية حزينة مثله في مرو الشاهجان فيقول:

أقمره الوادي التي خان إلفها من الدهر أحداث أتت وخطوب  
تعالى أطارحك البكاء فإننا كلانا بمرو الشاهجان غريب<sup>2</sup>.

فهذا الشاعر يتخذ من الطير أنيساً له، فيشكو لها غربته ويدعوها إلى مطارحته البكاء والحزن على سبيل الاستئناس، فهو يرى بأنها غريبة مثلما هو، لذلك فالشكوى هي الأنسب لهما في مثل هذه الحال.

وهذا مالك بن الريب يقول- حين حضرته الموت وهو مغترب عن بلده بخراسان<sup>3</sup> -

ألا ليت شعري هل أيتنَّ ليلة	بجنب الغضا، أزجي القلاصَ النواحيا
فليت الغضا لم يقطع الركب عرضهُ	وليت الغضا، ماشى الركاب لياليا
ولما تراءت عند مرو منيتي	وخلَّ بها جسمي وحانت وفاتي
أقول لأصحابي ارفعوني فإنه	يقرّ بعيني أن سهيل بدالياً
فيا صاحبي رحلي دنا الموت فأنزلا	براية إني مقيم لياليا
وخطأ بأطراف الأسنة مضجعي	وردًا على عيني فضل ردائي
خذاني وجرّاني بثوبي إليكما	فقد كنت قبل اليوم صعباً قياديا
غداة غد يا لطف نفسي على غد	إذا أدجوا عني وأصبحتُ ثاوي
فيا صاحبي إنا عرضت قبلُ عن	بني مازن والريب أن لا تلاقيا

<sup>1</sup> - سميرة سلامي، المرجع السابق، ص 81 - 82.

<sup>2</sup> - ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ج 5، ص 163.

<sup>3</sup> - سميرة سلامي، المرجع السابق، ص 82.

بعيدٌ غريبُ الدارِ ثاوٍ بقفرةٍ      يدُ الدهرِ، معروفاً بأن لا تدانينا  
أقلبُ طرفي حول رحليّ فلا      أرى به من عيون المؤنسات مراعيًا<sup>1</sup>.

نلمس في هذه الأبيات عمق اغتراب صاحبها، وكم تكون الفجيرة عظيمة لما يحس المرء فجأة بأنه لن يعود إلى أهله إلا خبره، فلا يجد إلا التآسي من هذه الحالة التي صار إليها. فالشاعر في هذه الأبيات قد أحس بدنو أجله، فحزّ في نفسه البعد عن الديار والأهل والأصحاب، وفاضت أبياته لوعة وأسى.

وهذا شاعر آخر خرج فاتحاً واغترب عن موطنه وحين تشوق إليه وحن قال:

أكرر طرفي نحو نجد وإنسي      إليه وإن لم يدرك الطرف أنظرُ  
أحنُ إلى أرض الحجاز وحاجتي      خيام بنجد دونها الطرف يقصُرُ  
أفي كلّ يوم نظرة ثم عبرةً      بعينيك مجرى مائها يتحدثُ  
متى يستريح القلبُ إماً مجاورُ      مجربٍ وإما نازحٌ يتذكّرُ<sup>2</sup>.

بلغت بالشاعر درجة الاغتراب إلى النظر جهة نجد على الرغم من أنها لا تتراءى له. فالحنين إلى أرض الحجاز وخيام نجد صير الشاعر منسكب العبرات، كلما تذكر نجد ونظر ناحيتها، حتى إنه سئم من الحرب والنزوح إليها وتمنى لو انتهت حتى يستريح قلبه من الشوق الدائم المصاحب له في غربته.

<sup>1</sup> - عبد القادر بن عمر البغدادي، خزائن الأدب، المطبعة السلفية، القاهرة، ج2، ص 176 - 179.

<sup>2</sup> - ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص 262 - 263.



ويضيق شاعر آخر بغربته في أرض غير نجد فيقول:

أتبكي على نجد ورثاً ولن ترى      رثاً ما حيت ولا لنجد  
تبدلت من رثاً وجارات بيتها      قرى نبطيات يسميني مردا  
ألا أيها البرق الذي بات يرتقي      ويجلو دجى الظلماء ذكرتي لنجد  
ألم ترى أن الليل يقصرُ طوله      بنجد وتزدادُ الرِّيحُ به برداً<sup>1</sup>.

فالشاعر يبرز في هذه الأبيات مدى تشوقه وحنينه إلى نجد ورياء وهو شبه يائس من رؤية رياء ونجد مرة ثانية، وقد وصف لنا بعض السمات المناخية لنجد من برودة ورياح. ويبدو أن الشاعر في وصفه لقصر الليل في نجد - يقصد حلاوة الحياة فيها حتى إن الساعات لتمر بسرعة فلا يحس بها الإنسان على عكس الحياة الضنك التي تمر الساعات خلالها وكأنها سنوات.

### ج - الاغتراب في الشعر الأموي:

بظهور الأحزاب السياسية في العصر الأموي تمخض لون من ألوان الاغتراب، ألا وهو الاغتراب السياسي، وتجلّى ذلك في السخط والعداء والثورة على بني أمية من طرف الأحزاب الأخرى (الزبيريون، الخوارج، الشيعة) وخاصة الشيعة لأنهم رأوا في بني أمية المقتصب للخلافة، فلسان حال الزبيريين - عبيد الله بن قيس الرقيات - يقول:

كيف نومي على الفراش ولما      يشمل الشام غارة شعواء  
تذهلُ الشيخَ عن بنيه وتُبدي      عن بُراها العقيلة العذراء  
أنا عنكم بني أمية مـزوّز      وأنتم في نفسي الأعداء  
إن قَتَلُ بالطّف قد أوجعتني      كان منكم لئن قَتَلْتُمْ شِفَاءً<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - المصدر نفسه، ج5، ص264.

يستهل ابن قيس الرقيات أبياته بما يشبه التحريض ضد دولة بني أمية، ويصرّح بمعاداته لهم فيتمنى لهم كل السحق والزوال، كما يثور المشيع - الكميت بن زيد الأسدي - على بني أمية قائلاً:

فقل لبني أمية حيث حلوا	وإن خِفْتَ المهْندَ والقُطيْعَا
ألا أفٌ لدهر كنتُ فيه	هَذَا طائِعًا لَكُمْ مطيْعَا
أَجَاعَ الله من أشبَعْتُمُوهُ	وأشبعَ من محوركُم أجيْعَا
وَيَلْعَنُ فِئْ أُمَّتَهُ جَهَارًا	إذا ساس البريَّة والخليْعَا <sup>*</sup>
بمريضٍ السياسة هاشمي <sup>١</sup>	يكون حيًّا لأُمته ربيعَا <sup>2</sup> .

فالشاعر يرى بأن الخليفة يجب أن يكون هاشمياً، وهذه هي نظرة كل الشيعة على عكس الخوارج الذين يرون بأن الخلافة ليست حكراً على فئة دون الأخرى، ولا حزب دون آخر، إنما يجب أن تُردَّ إلى من هو أهل لها من المسلمين دوغماً تمييز، فقط يشترطون التقوى ممن يتولاها وهذا أحدهم يقول:

نقاتلكم كي تلزموا الحق وحده	ونفصركم حتى يكون لنا الحكم
فإن تبتغوا حُكْمَ الإله نكنْ لَكُمْ	إذا ما اصطَلَحْنَا الحق والأمن والسُّلم
وإلا فإِن المشرقة عَخذم	بأيدي رجالٍ فيهم الدين والعِلْمُ <sup>3</sup> .

<sup>١</sup> - عبيد الله بن قيس الرقيات، الديوان، تحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، 1985، ص 78.

<sup>\*</sup> - يقصد بالفئ معاوية، وبالخليع الوليد بن عبد الملك.

<sup>2</sup> - أبو رياش أحمد بن إبراهيم القيسي، شرح هاشميات الكميت، تحقيق داود سلوم، نوري حمودي القيسي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، 1984، ص 198.

<sup>3</sup> - الخوارج، الديوان، جمع وتحقيق نايف محمود معروف، دار المسيرة، بيروت، 1983، ص 87.

فهذا الشاعر يرى باستمرار مقاتلة بني أمية حتى الفوز أو مراجعة بني أمية لنظرتهم إلى الخلافة والحكم، وقد عُرف عن الخوارج الشدة في الحق مع الورع والتقوى، وتروي الوقائع بأن فئات قليلة - منهم قد غلبت فئات أكثر منها نتيجة شجاعتهم وإيمانهم القوي بأنهم يسلكون طريق الصواب.

وبالإضافة إلى الاغتراب السياسي الناتج عن التحزب فإن السجن والنفي كذلك قد زاد شعراء هذا العصر اغتراباً جراء الاضطهاد.

وأبرز هؤلاء الشاعر العرجي الذي زجَّ به الأمويون في السجن فذاق فيه أمر المرات، ولم يخرج منه إلا ميتاً<sup>1</sup>، وقد قال قبل نهايته المأساوية هذه - أبياتاً مليئة بالمرارة والألم، والإحساس بالذل والقهر والظلم منها:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا	ليوم كريهة وسداد ثغر
وخلّوني لمعتزك المنايا	وقد شرّعت أسنّتها لئحري
كأنني لم أكن فيهم وسيطاً	ولا لي نسبة في آل عمرو
أجرز في الجوامع كل يوم	ألا لله مظلّمي وصبري
عسى الملك المجيب لمن دعاه	يُنَجّيني فيعلم كيف شكّري
فأجزي بالكرامة أهل وُدّي	وأورث بالضغائن أهل وِثْري <sup>2</sup>

فبالإضافة إلى الاغتراب السياسي عانى الشعراء - شعراء الغزل العذري - أيضاً من غربة الإبعاد والحرمان عن المحبوبة، حتى صارت

<sup>1</sup> - أبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق، ج 1، ص 399.

<sup>2</sup> - العرجي، الديوان، تحقيق خضر الطائي، رشيد العبيدي، الشركة الإسلامية للطباعة والنشر، بغداد، 1965، ص 34.

معاناتهم هذه تضاهي أو تزيد عما يعانيه المبعد عن وطنه<sup>1</sup>، فهذا جميل بثينة يقول:

أرى كل معشوقين غيري وغيرها      يَلْدَانِ في الدنيا ويغبتان  
وامشي وتمشي في البلاد كأننا      أسيران للأعداء مرتهان  
أصلي فأبكي في الصلاة لذكرها      لي الويلُ لما يكتب المَلْكَانُ<sup>2</sup>.

وقد قيل: 'الغريب من جفاه الحبيب'، فجميل هنا يشير إلى شدة حبه للمحجوبة ويقرُّ بعجزه عن الوصول إلى هدفه على عكس كل معشوقين، فهو يرى - كما يبدو - بأن الحظ إلى جانبهم في حين أن حظه ومحبوته سيءٌ للغاية. ولمعرفة مدى معاناة الشاعر فلتتخيل الموقف الذي يصوره في البيت الأخير، أما قيس بن ذريح فإنه اختط لنفسه تصورًا لعالم خاص حين يقول:

إن تك لبني قد أتى دون قُربها      حجابٌ منيع ما إليه سبيلُ  
فإن نسيم الجو يجمعُ بيتنا      وبُصرُ قرن الشمس حين تُزولُ  
وأرواحنا بالليل في الحَيِّ تلتقي      ونعلمُ أنَّنا بالثَّهَارِ نَقِيلُ  
ونجمعُنا الأرضُ القَرَارُ وفوقنا      سَمَاءٌ نرى فيها النُّجُومُ تُحُولُ<sup>3</sup>

وربما كان عجز الشاعر هو الذي حمله على ما يشبه الهلوسة هذه فهو يتصورُ أنه يعيش مع محبوبته في عالم آخر خال من القيود والعراقيل في وجه حبهما. أمّا مجنون ليلى فإنه قد بلغت به الحال إلى درجة يمكن أن نطلق

<sup>1</sup> - فاطمة طحطح، الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، منشورات كلية الآداب جامعة محمد الخامس، المغرب، ط1، 1993، ص36.

<sup>2</sup> - جميل بن عبد الله، الديوان، تحقيق حسين نصار، مكتبة مصر، ط2، 1967، ص204.

<sup>3</sup> - قيس بن ذريح، الديوان، تحقيق حسين نصار، مكتبة مصر، 1977، ص140.

عليها تسمية الجنون؛ فهو يصور لنا تصرفات يقوم بها لا يمكن للإنسان السوي أن يفكر حتى فيها. وربما أصاب كثيرا من سمّاه أول مرة بالجنون إذ يقول مثلا:

أصور صورة في الترب منها      وأبكي إن قلبي في عذاب  
وأشكو هجرها منها إليها      شكاية مُدَلَّتِي عَظَمَ المَصَابُ  
وأشكو ما لقيتُ وكُلَّ وَجَدُ      غرامًا بالشكاية للثراب<sup>1</sup>.

ويقول أيضا:

أكلَمُ صورةً في التربِ مِنْهَا      كَأَنَّ التربَ مُسْتَمِعٌ خِطَابِي  
كَأَنِّي عِنْدَهَا أَشْكُو إِلَيْهَا      مُصَابِي والحديثُ إِلَى الثَّرَابِ<sup>2</sup>.

وربما يبدو المجنون هنا عاقلاً بعض الشيء، فهو يدرك بأنه يطارد الوهم والخيال. وهذا ما يجعلنا ندرك بأنه كان يقول شعراً جيداً؛ فكل الشعر الذي يشوبه خلل كان قد قاله في مرحلة متأخرة - فيما يبدو - فالمعروف عنه بأنه قد هام على وجهه في الغياfi أواخر حياته فاقدًا عقله، لذلك يمكننا القول بأن شعره قد تدرج تدرج صحته العقلية.

#### د - الاغتراب في الشعر العباسي:

بسقوط دولة بني أمية وانتصار العباسيين اُعْمَلَ أبو العباس السفّاح السيف في رقاب الأمويين، ولم ينج منهم إلا من هام على وجهه في البراري، وأبرز هؤلاء الأمير عبد الرحمن بن معاوية الملقب بالداخل. وقد فرّ متخفياً في رحلة شاقة مليئة بالمخاطر من الشام إلى الأندلس، واستطاع أن يؤسس

<sup>1</sup> - قيس بن الملوّح، الديوان، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مكتبة مصر، 1965، ص 73.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 74.

بها إمارة أموية جديدة. ولكن هذا لم يُنسه وطنه، فقد حَزَّ ذلك في نفسه كثيرا<sup>1</sup>، وترجم تصويره لعمق الاغتراب الذي عاناه بأبيات منها:

أفر من بعضي السَّلام لبعضي	أيها الراكب الميمُّ أرضي
وفؤادي ومالكِيه بأرضي	إن جسمي كما تراه بأرضي
وطوىَّ البينُ عن جفوني غمضي	قُدِّرَ البينُ بيننا فافترقنا
فَعَسَىَ باجتماعنا سوف يقضي <sup>2</sup> .	قد قضى الله بالفراق علينا

فالشاعر في هذه الأبيات المليئة بمرارة الغربة بشدة إيلامها يحس وكأن جسمه في أرض الغربة وفؤاده عند أحبابه وأهله وأصحابه بالشام، ويقال بأنه أول نزوله كان بمنية الرصافة، وصادف أن رأى هناك نخلة مفردة فتذكر حاله وتصور حالها، عندها تذكر وطنه وتشوق إليه فقال:

تأنت بأرض الغربِ عن بلد النخل	تبدت لنا وسط الرُصافة نخلةٌ
وطول التناهي عن بني وعن أهلي	فقلت شبيهي في التغرب والتوى
فمثلك في الإقصاء والمتأى مثلي <sup>3</sup> .	نشأت بأرضٍ أنتَ فيها غريبةٌ

فبعد الرحمن يماثل بين حالته وحالة النخلة في التغرب والإقصاء والتناهي. والحق أن النخلة لم تتغرب ما دامت تلك الأرض التي ظهرت فيها للوجود أول مرة هي نفسها التي تنتصبُ عليها الآن، أمّا هو فقد أجبر على الارتحال عن البلد الذي نشأ وترعرع فيه.

ويحنّ أبو نواس إلى بغداد وضواحيها (حي الكرخ) حين أحس بوحشة الغربة وآلامها فيقول:

<sup>1</sup> - سميرة سلامي، المرجع السابق، ص 91.

<sup>2</sup> - المرجع السابق، ص 91-92.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 92.

ذَكَرَ الْكَرْخُ نَازِحُ الْأَوْطَانِ فَصَبَا صَبُوءَ وَلَاتِ أَوَانٍ<sup>1</sup>.

أَمَّا أَبُو تَمَامٍ فَإِنَّهُ صَرَّحَ بِشِدَّةِ اغْتِرَابِهِ قَائِلًا:

مَا لِيَوْمٍ أَوَّلُ تَوَدِّيعٍ وَلَا الثَّانِي      الْبَيْنُ أَكْثَرُ مِنْ شَوْقِي وَأَحْزَانِي  
دَعِ الْفِرَاقَ فَإِنَّ الدَّهْرَ سَاعِدُهُ      فَصَارَ أَمْلَكُ مِنْ رُوحِي بِجِشْمَانِي  
بِالشَّامِ أَهْلِي وَيَغْدَادُ الْهَوَى وَأَنَا      بِالرَّقَّتَيْنِ وَبِالْفُسْطَاطِ إِخْوَانِي  
وَمَا أَظُنُّ النَّوَى تُرَضَّى بِمَا صَنَعْتُ      حَتَّى تَطْوَحَ بِي أَقْصَى خُرَاسَانَ  
خَلَقْتَ بِالْأَفَقِ الْغَرْبِيِّ لِي سَكَنًا      قَدْ كَانَ عِشْيِي بِهِ حُلُومًا يَحْلُوَانِ<sup>2</sup>.

فأبو تمام في هذه الأبيات يصرّح بملازمة الاغتراب له حتى إنه كاد يستسلم، فقد سيطر عليه الاغتراب، وصار شبه يائس من قهره وتجاوزه، فهو يرى بأن الدهر لا يقصد له إلا الأذى؛ بحمله على مفارقة أهله ووطنه.

وهذا ابن الرومي ينعت الحكام بالجيف ويرى بأنهم ليسوا أهلاً لتولي زمام الحكم قائلًا:

جِيفٌ أَنْتَنَتْ فَأُضْحِتْ عَلَى      اللَّجَّةِ وَالذَّرُّ تَحْتَهَا فِي حِجَابِ  
وِغْثَاءٍ عَلَا عِبَابًا مِنَ الْيَمِّ      وَغَاصَ الْمَرْجَانُ تَحْتَ الْعِبَابِ  
وَرِجَالٌ تَغْلِبُوا بِزَمَانٍ      أَنَا فِيهِ وَفِيهِمْ ذُو اغْتِرَابٍ<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - أبو نواس، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996، ص 653.

<sup>2</sup> - أبو تمام، الديوان، تقديم وشرح محي الدين صبحي، دار صادر، بيروت، مج 2، 1997، ص 161.

<sup>3</sup> - ابن الروم، الديوان، تحقيق حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج 1، ص 280.

وهذا علي بن الجهم عاش بدوره غربة الحبس، وعانى أكثر منها عند خروجه، أين لم يعد له صديق، فصار وحيدا يجلس بالمقابر فقيل له: ويحك وما يجلسك ها هنا؟ فردّ قائلا:

يشتاق كل غريب عند غربته      ويذكر الأهل والجيران والوطنا  
وليس لي وطن أمسيت أذكره      إلا المقابر إذ صارت لهم وطنا<sup>1</sup>.

فالشاعر يشير في الشطر الثاني من البيت الثاني إلى أصدقائه الذين فقدهم، فغربة الحبس تلتها غربة أشد إيلامًا منها ألا وهي غربة الوحدة وفرقة الأحباب والخلان. ونقف مع أبي الطيب المتنبي وهو ببلاد فارس يشكو من غربتين؛ غربة الوجه وغربة اللسان<sup>2</sup>، يقول:

مغاني الشعب طيبا في المغاني      بمنزلة الربيع من الزمان  
ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان<sup>3</sup>.

ويقول في موضع آخر يشكو غربته ووحدته:

أهمُ بشيء والليالي كأنها      تطاردني عن كونه وأطارِدُ  
وحيد من الخلان في كل بلدة      إذا عظم المطلوب قلّ المساعد<sup>4</sup>.

لقد عاش المتنبي في أوساط سياسية واجتماعية متصدعة، وكان يلاحظ بأنها تزداد يوما بعد يوم في التصدع، فازداد إحساسه بالغربة كلما رأى

<sup>1</sup> - أبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق، ج10، ص224.

<sup>2</sup> - فاطمة طحطح، المرجع السابق، ص37.

<sup>3</sup> - أبو الطيب المتنبي، الديوان، شرح أبو البقاء العكبري، ضبط كمال طالب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، مج4، 1997، ص254-255.

<sup>4</sup> - المصدر نفسه، مج1، ص275-276.



مجتمعه تحت حكم العبد، فقد تغيرت أخلاق الناس - كما يرى - في زمانه فكلهم ذئاب<sup>1</sup> يقول:

أذم إلى هذا الزمان أهيلك      فأعلمهم فذم وأحزمهم وغد  
واكرمهم كلب وأبصرهم عم      وأسهدهم فهد وأشجعهم قرد<sup>2</sup>

وقد اغترب أيضا أبو العلاء المعري، وذاق معظم أنواع الاغتراب فقد استشعر العبث واللاجدوى في هذه الحياة حتى رأى بأنها كلها غربة، مما أدى به إلى تكريس الموت<sup>3</sup>، وهذه الأبيات المتقاة لدليل على أنه عاش الاغتراب بأسمى درجاته يقول:

تغييت في منزلي برهة      ستر العيوب فقيد الحسد<sup>4</sup>  
قد آنسوني بإيجاشي، إذا بعدوا      وأوحشوني في قرب إيناس<sup>5</sup>  
ولو لم ألق غيرك في اغترابي      لكان لقاءك الحظ الجزيل<sup>6</sup>  
من عاش تسعين حولا فهو مغترب      قد زائل الأهل إلا معشرا جندا  
وشاهد الناس من كهل ومقتبل      ودالف الخطو لا يحصى لهم عددا<sup>1</sup>  
عددا<sup>1</sup>.

<sup>1</sup> - دياب قديد، أبو الطيب المتنبي بين الاغتراب والثورة، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، 1987، ص28.

<sup>2</sup> - أبو الطيب المتنبي، المصدر السابق، مج1، ص378.

<sup>3</sup> - سناء خضر، النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 1999، ص99.

<sup>4</sup> - أبو العلاء المعري، لزوم مالا يلزم، تحرير وشرح كمال اليازجي، دار الجيل، بيروت، ج1، 2001، ص329.

<sup>5</sup> - المصدر نفسه، ج1، ص571.

<sup>6</sup> - أبو العلاء المعري، سقط الزند، شرح أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990، ص272.

ومن مظاهر الاغتراب عند المعري ظاهرة العزلة، والتي جسدها أحسن تجسيد في قوله:

أراني في الثلاثة من سجوني      فلا تسأل عن الخبر النبيث  
لفقدي ناظري ولزوم بيتي      وكون النفس في الجسد الخبيث<sup>2</sup>.

وهكذا فلو تقصينا الشعر العربي بحثاً وتنقيباً عن مظاهر الاغتراب لظال بنا البحث والتنقيب، ولكن نكتفي بالوصول إلى الشاعر أبي فراس الحمداني:

دعوتك للجن القريح المسهد      لذّي والنوم القليل المشرد  
وما ذاك لجل بالحياء وإنها      لأول مبذول لأول مجتد  
ولكن أنفت الموت في دار غربة      بأيدي النصارى الغلف مئة أكمد<sup>3</sup>.

يتضح من هذه الأبيات أن الشاعر قد قالها وهو في الأسر، فكان أكبر خوفه الموت في بلاد الغربة وبين أيدي الأعداء.

والخلاصة أن الاغتراب ظاهرة قديمة قدم الشعر العربي، وذلك راجع إلى وجود من يخالف رأي القبيلة أو الجماعة ويثور ويخرج ضدها، ووجود من يرفض تقاليد عصره وزمنه. وكل هذا نتج عن شعور بالاغتراب تفاوتت درجته من عصر إلى عصر ومن شاعر إلى آخر.

<sup>1</sup> - أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج1، ص288.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج1، ص204.

<sup>3</sup> - أبو فراس الحمداني، الديوان، تحقيق الدكتور إبراهيم السمرالي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1983، ص47-48.

### 3 - دوافع الاغتراب ودواعيه:

#### أ - الارتحال في طلب الرزق:

حين يقل الماء أو الكلاً يصبح الرحيل ضرورة لا مفرّ منها. ونحن نعرف أن البدو يقيمون ما توافر هذان العنصران، وإلاّ فإنهم يرتحلون بحثاً عنهما.

وقد تحدث الشعراء قديماً عن الأطلال ويكوا مراتع الصبا واستمر ذلك كما استمر التنقل والارتحال، ولا أدلّ على ذلك من أشعار أصحاب المعلقات فهذا امرؤ القيس يستهل معلقته بقوله:

ققا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل<sup>1</sup>

ويسير على نهجه لبيد بن ربيعة إذ يقول:

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبّد غولها فرجامها<sup>2</sup>.

وسار الكثير من الشعراء على هذا التقليد في بكاء الأطلال، ومردّ ذلك أن الظروف كانت تفرض عليهم الرحلة عن أماكن ألفوها وشهدت ذكريات عزيزة على قلوبهم، سواء كانت رحلاتهم فردية أم جماعية.

#### ب - فقدان الأهل أو الخلان:

إذا فقد الإنسان حبيباً فإنه سيُشعر حتماً بغربة عميقة وهذا ما تجلّى عند ذي الرمة الذي يقول:

<sup>1</sup> - امرؤ القيس، المصدر السابق، ص 29.

<sup>2</sup> - لبيد، المصدر السابق، ص 199.

عشيرة مالي حيلة غير أنسي      بلقط الحصى والخط في الترب مولع  
أخط وأعو الخط ثم أعيدّه      بكفي والغريان في الدار موقع<sup>1</sup>.

فحين أتى الشاعر إلى ديار الأحبة ووجدها خاوية على عروشها، تملكه الحزن والأسى ووجد نفسه في غربة مريرة موحشة<sup>2</sup>، ولجأ إلى التقاط الحصى والخط في التراب ثم محوه ثم إعادة الفعل، فإذا تصور المرء المشهد فإنه يستطيع التكهن بحالة الشاعر النفسية حينها، والتي تخرج عن دائرة الحزن والهم والغم واليأس... عند الكثيرين.

### ج- الخلع:

كانت القبيلة - خاصة في العصر الجاهلي - تخلع أبناءها الخارجين عن أعرافها وتقاليدها وتبترأ منهم، فيهيمنون على وجوههم في البراري والفلوات ويقطعون الطرق ويقتاتون من الغزو، وأي غربة كغربة هؤلاء؟ فهم منفيون عن أهلهم وذويهم ومبعدون عما ألفوه واعتادوه، فلا شك بأنهم يشعرون بتمزق وضيق كبيرين<sup>3</sup>، فهذا أبو الطحمان القيني نزل على الزبير بن عبد المطلب بن هاشم، وطال مقامه لديه فاستأذنه في الرجوع إلى أهله فلم يأذن له، فأقام عنده مدة ثم أتاها وقال له:

ألا حنت المرقال واتب رُبها      نذكرُ أوطانا وأذكرُ مغشري

<sup>1</sup> - ذو الرمة، الديوان، تقديم ومراجعة وتعليق زهير ففتح الله، دار صادر، بيروت، ط1، 1995، ص 306-307.

<sup>2</sup> - أمين صالح محمود العمصي، الغربة والحنين في الشعر الفلسطيني بعد النكسة، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، ص 60.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 61.

فلما أنشده هذا أذن له فانصرف<sup>1</sup>.

#### د- الجهاد في سبيل الله:

اقتضت الفتوحات الإسلامية خروج الجيوش الإسلامية لمحاربة الفرس شرقا والروم شمالا، فابتعد الفاتحون عن أهاليهم وذويهم وبيئاتهم التي ألفوها، ووجدوا أنفسهم في بيئات تختلف عنها ف شعروا بالغربة والوحشة، وهذا مالك بن الربيع التميمي يحس بدنو أجله ويشعر باليأس فيقول أبياتا\* من الشعر تفيض حسرة وأسى.

#### هـ - الزهد والتصوف:

تعد غربة الزاهد والمتصوف غربة روحية؛ فهو لا يرتحل عن موطنه ولا يبتعد عن أهله إلا أنه ينأى بسلوكه عما ألفه الناس، وينظر إلى هذه الحياة على أنها دار فناء وليست دار خلود وبقاء، فينصب<sup>4</sup> جل اهتمامه بدار البقاء - ما بعد الموت - وأبرز هؤلاء الحلاج<sup>5</sup> ورابعة العدوية التي أفاقت من سباتها في الإثم والمعصية فاعتزلت الناس وتوجهت إلى الله واستطاعت - فيما يقال - أن تبلغ قمة السمو والاستغراق في الحب الإلهي<sup>2</sup>. وسلك نفس النهج الشبلي الأمير الذي تنازل عن أملاكه ثم تصوف، يقول:

وكنمت الهوى ففزت بوجدي	باح مجنون عامر بهواه
أين أهل الهوى تقدمت وحدي <sup>3</sup> .	وإذا كان في القيامة نـودي

<sup>1</sup> - أبو الفرج الأصفهاني، المصدر السابق، ج13، ص 15 - 16.

<sup>\*</sup> - تنظر هذه الأبيات في الصفحة 49 من هذا البحث

<sup>2</sup> - أمين صالح، المرجع السابق، ص 64.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، ص 65.

## و- التشريد والنفى:

التشريد والمطاردة والإبعاد كلها من دواعي الغربة إذا كانت من الأهل فما بالك إذا كانت من العدو، فلا بد للمنفى أو المشرّد أو المطارد أن ينجو بنفسه من الأخطار التي تلاحقه فيحس حينها بشدة الاغتراب، ومن أبرز هؤلاء عبد الرحمن الداخل الأموي الذي قرّب مجلده حين أعمل أبو العباس السفاح السيف في رقاب الأمويين. وكذلك أبو قطيفة الذي نفاه ابن الزبير إلى الشام<sup>1</sup> والذي يقول:

أقر مني السلام إن جئت قومي	وقليل لهم لذّي السّلام
أقطع اللّيل كله باكتساب	وزفير فما أكّادُ أنام
نحو قومي إذ فرقت بيننا الدار	وحادت عن قصدها الأحلام <sup>2</sup> .

فالشاعر يحس بأرق شديد يمنع عنه النوم لشدة ما يعانيه من ألم الاغتراب عن الوطن والقوم، فاستحالت حياته كآبة وحزنا.

## ل - الأسر:

إذا وقع المحارب بين أيدي الأعداء فإنه لن يجد منهم إلا السجن والعذاب. ولن يحس إلا بالمهانة والضياع، ويشتد اغترابه حين يتذكر ما كان عليه من حرية وعزّ. وعند ذكر عبارة الاغتراب والأسر يتبادر إلى الأذهان مباشرة الشاعر الفارس العربي أبو فراس الحمداني؛ لأنه تقريباً خير من يمثل صورة الأسر في الشعر العربي كله بروميّاته الشهيرة ومما قاله:

<sup>1</sup> - أبو الفرج الإصفهاني، المصدر السابق، ج 1، ص 34.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1، ص 34 - 35.

مصابي جليل والعزاء جميل	وظني بأن الله سوف يُبدّل
جراح تمامها الأساة مخوفة	وسقمان بادٍ منهما ودخيل
وأسر أفاقيه وليل لجوئه	أرى كل شيء غيرهن يزول
تطول بي الساعات وهي قصيرة	وفي كل دهر لا يسرك طول <sup>1</sup> .

هذا عن دوافع الاغتراب في العصور القديمة (الجاهلي، الإسلامي الأول، الأموي والعباسي...)، أما دوافع الاغتراب في العصر الحديث فهي كثيرة «فقد كان لسيطرة المادة وسيادة العلم على مختلف النشاطات البشرية، وكذا احتلال التكنولوجيا المكان الأكبر في التفكير الإنساني، والتأثير الأكبر في خلق حياة جديدة وقيم مستحدثة مختلفة عما كان سائدا في الماضي فالتطور الهائل للمجتمع البشري اقتصاديا وسياسيا وعلميا عدّ لعنة للإنسانية ونذيرا بموت كل القيم الروحية والأخلاقية للإنسان؛ إذ أصبحت العلاقات الاجتماعية الإنسانية قائمة على النفع المادي والهيمنة العسكرية، وهو ما بيته الحروب المستمرة حتى اليوم»<sup>2</sup>، هذا بالإضافة إلى سيطرة المصلحة الفردية والأنانية التي فككت الروابط الاجتماعية أيما تفكيك<sup>3</sup>، ويبقى للظروف الخاصة وطبيعة المجتمع وتحولاته الأثر البارز في تكوين بنية الشاعر واكتساب قيم جديدة تنعكس في نشاطه الأدبي<sup>4</sup>، فالاغتراب يتج عادة عن الطموح الشخصي الذي يدفع بصاحبه إلى القيام برحلات خارج وطنه؛ لتحقيق مجد مادي أو أدبي أو عن المشاركة في الجهاد والانضمام إلى صفوف المقاتلين تحقيقا للعزة القومية، والانتصار الديني، أو

<sup>1</sup> - أبو فراس الحمداني، المصدر السابق، ص 134.

<sup>2</sup> - عماد الدين خليل، في النقد الإسلامي المعاصر، مؤسسة الرسالة، ط3، 1984، ص 161.

<sup>3</sup> - مفيد محمد قميحة، الاتجاه الإنساني في الشعر المعاصر، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت،

1981، ص 409-410.

<sup>4</sup> - عماد الدين خليل، المرجع السابق، ص 168.

عن طلب العلم والاستزادة من المعرفة أو عن دوافع اضطرارية تفرض على الإنسان الهجرة عن وطنه، والبعد عنه كالفرار من الاضطهاد السياسي، أو الوقوع في أسر الأعداء، أو عن الشعور بالتفاوت الطبقي أو الاجتماعي، أو عما يعانيه الإنسان داخل وطنه من ضغط وتقييد للحريات السياسية والفكرية<sup>1</sup>.

#### 4- أنواع الاغتراب:

ذهب الدكتور عبد الحكيم بليغ إلى ربط أنواع الاغتراب بدوافعه إذ يرى أن:

##### - النوع الأول: الاغتراب المكاني:

ودوافعه كثيرة فمنها دافع الطموح الشخصي الذي يدفع بصاحبه إلى القيام برحلات خارج وطنه؛ لتحقيق مجد مادي أو أدبي كما حدث بالنسبة لأبي تمام والبحري والمني، ومنها دافع المشاركة في الجهاد والانضمام إلى صفوف المقاتلين تحقيقاً للعزة القومية والانتصار الديني، كما حدث بالنسبة لمالك بن الرب ومتمم بن نويرة، ومنه دافع الرغبة في طلب العلم والاستزادة من المعرفة، كما حدث بالنسبة لأبي العلاء المعري، ومنها الدوافع الاضطرارية التي تفرض على الإنسان الهجرة عن وطنه والبعد عنه، كالفرار من الاضطهاد السياسي أو الوقوع في أسر الأعداء، كما حدث بالنسبة لأبي فراس الحمداني.

<sup>1</sup> - عبد الحكيم بليغ، حركة التجديد في الشعر في المهجر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980،



## - النوع الثاني: اغتراب النفس والروح والفكر:

ودوافعه هو الآخر كثيرة فمنها دافع الشعور بالغربة الطبقية أو الاجتماعية، وذلك كالذي حدث بالنسبة للخلعاء من الشعراء الصعاليك، ومن دوافعه ما يعانيه الإنسان داخل وطنه من ضغط وتقييد للحريات السياسية والفكرية، كالذي حدث من بعض الحكام الأمويين لرجال الأحزاب والفرق الدينية الأخرى من شيعة وخوارج وزبيريين...<sup>1</sup>.

### 5- مظاهر الاغتراب : للاغتراب مظاهر عدة هي:

#### أ - الاغتراب عن الوطن: ويندرج تحته قسمان هما:

##### \* اغتراب الهجرة:

يدفع الفقر والحرمان والبؤس الكثير من الناس إلى هجرة أوطانهم كما يدفعهم إلى ذلك الاستعمار وممارساته، أو تعرضهم للظلم والذل من قبل الحكام. وقد يهجر البعض أوطانهم بسبب تفشي الاضطراب والفوضى وانقسام الأمة، وانهيار الدولة على جميع الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية - مثلما هو الحال في الجزائر اليوم - ولكل هذه الدوافع يحمل الإنسان على الهجرة من وطنه بحثا عن الأمن وسعيا وراء الرزق، وكسب الثروة لتأمين عيشه وعائلته معيشة رغدة. يقول الشاعر محمد بن حماد البصري:

إن كان لا بد من أهل ومن وطن      فحيث آمن من أهوى ويأمنني  
يا ليتني منكرا من كنت أعرفه      فلست أخشى أذى من ليس يعرفني

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 234 - 237.

لا أشتكي زمي هذا فأظلمه وإنما أشتكي أهـل ذا الزمن<sup>1</sup>.

لقد غير الشاعر النظرة إلى فكرتي الوطن والأهل - وربما هذا يعود إلى ما أحس به من ضيق في وطنه - فرأى أن من وجد الأمن فقد وجد الأهل والوطن، ويصرح بأنه يتمنى الابتعاد عن معارفه ولو بإنكارهم وعدم معرفتهم، فالمعرفة بالأشخاص عنده تستلزم الأذى كما أنه لا دخل للدهر في فساد الناس وأخلاقهم فالعيب كامن فيهم لا في الزمن.

وهذا الشريف المرتضى يدعو إلى شد الرحال والإسراع في ذلك حينما يتضح للمرء اتساع دائرة المفاسد قائلا:

شد غروض المطي مغتربا	فلم يفز طالب وما طلب
لا در في الناس در مقتصد	يأخذ من رزقه الذي قريبا
وما مقام الكريم في بلد	ينفق فيه الحياء والأدبا
لا تعطني بالزمان معرفة	كم ضاق بي مرة وكم رجبا
أي خطوط لم تولني عظة	وأي دهر لم أفنه عجبا
ساعات دهر تمر مسرعة	عنا وتبقى الهموم والتعب <sup>2</sup> .

فالشاعر ضاق ذرعا بمفاسد الناس وقلة الحياء والأدب ولا يرى من سبيل إلا الرحيل إلى بلاد الغرب.

\* اغتراب الأسر:

نكتفي هنا بذكر شيء من شعر أبي فراس الحمداني - الرائد في هذا النوع أو الباب من الشعر بدون منازع - يقول:

<sup>1</sup> - أبو منصور الثعالبي، يتيمة الدهر، مطبعة السعادة، القاهرة، ط2، ج3، 1956، ص418.

<sup>2</sup> - عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس، قرى الضيف، تحقيق عبد الله بن حمد المنصور، دار النشر أضواء السلف، الرياض، ط1، ج5، 1997، ص71 - 72.

مغموم مؤلم جريح أسير      إن قلبا يطبق ذا نصبور  
وكثير من الرجال حديد      وكثير من القلوب صخور<sup>1</sup>.

فأبو فراس عانى في أسره الغربية، السجن، آلام الجراح الجسدية، الجراح النفسية، وتحلي الأصدقاء والأقارب عنه.

### ب - الاغتراب عن المجتمع:

يعني الاغتراب عن المجتمع شعور الفرد بالانفصال عن جانب أو أكثر من جوانب المجتمع، كالشعور بالانفصال عن الآخرين أو القيم والأعراف والعادات السائدة في المجتمع أو عن السلطة الحاكمة، فينتج عن ذلك إحساس بالألم والحسرة أو بالتشاؤم واليأس وبالتالي ينتج عن ذلك - أحياناً - سخط أو تمرد أو نقمة أو ثورة<sup>2</sup>...

### \* الاغتراب والإحساس بالقهر والحرمان:

إن الخلل في النظام الاقتصادي يؤدي إلى التفاوت الطبقي الذي يؤدي بدوره إلى الحالة التي تعيشها الأغلبية من أفراد المجتمع، من بؤس وفقر تتبعها محن ونكبات<sup>3</sup> فهذا الأحنف العبكري يقول:

عشت في ذلة وقلة مال	واغتراب في معشر أنذال
بالأمانى أقول لا بالمعاني	فغذا ني حلاوة الأمال
لي رزق يقول بالوقف في الـ	رأي ورجل تقول بالاعتزال <sup>1</sup> .

<sup>1</sup> - أبو فراس الحمداني، المصدر السابق، ص 96.

<sup>2</sup> - سميرة سلامي، المرجع السابق، ص 151.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

فالشاعر يرى بأن معيشتته صارت تحت وطأة الذل والفقر، فاغترب في مجتمعه حتى استحالت حياته كلها آماني وآمالاً، في مجتمع لا يرحم ذلة الذليل ولا فقر الفقير، إذ تبلغ شدة البؤس والحرمان بالشاعر إلى الكفر بعبادة الله وهذا ما نراه عند أبي الحسين محمد بن أحمد الإفريقي - المعروف بالمتيم - إذ يقول:

تلوم على ترك الصلاة حليّتي	فقلت: اغربي عن ناظري أنت طالق
فو الله لا صليت لله مقلّساً	يصليّ له الشيخ الجليل وفائق
وصاحب جيش المشرقين الذي له	سرايب مال حشوها متضايق
لماذا أصلي؟ أين باعي ومتزلي؟	وأيّن خيولي والخلي والمناطق
وأيّن عبيدي كالبدور وجوهمهم	وأيّن جوارِي الحسان العوانق؟
أصلي ولا فتر من الأرضي يحتوي	عليه يميني! إنني لَمَنافق!
تركت صلاتي للدين ذكرتهم	فمن عاب فعلي فهو أحمق مائق
بلى إن عليّ الله وسع لم أزل	أصليّ له ما لأخ في الجوّ بارق
فإن صلاة السيء الحال كلّها	غارق ليست تحتهن حقائق <sup>2</sup>

فالشاعر يذهب في أبياته هذه إلى أن الله يستحق العبادة فقط إذا أغنى المصلي ويسرّ حاله فتكون صلاته مقابل الأملاك ويسر الحال، أمّا الفقير فلا مقابل لصلاته إن صلاها إذن فلا داعي إليها.

<sup>1</sup> - أبو منصور الثعالبي، المصدر السابق، ج3، ص123.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج4، ص157 - 158.

## \* الاغتراب عن الآخرين:

بإحلال العلاقات المادية بين الناس وسيطرتها وكذا طغيان الدوافع المصلحية، تُفتقدُ معاني الصداقة والوفاء والمحبة، ويصبح الأساسُ في التعامل بين الأفراد - حينها - الكذب والنفاق والتزلف والخداع<sup>1</sup>، ويصبح الإنسان غريباً في مجتمعه، وهذا شأن أبي سليمان الخطابي إذ يقول:

ولاني غريب بين بُستِ وأهلها      وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي<sup>2</sup>.

فهذا الشاعر وعلى الرغم من إقامته بين أهله وذويه إلا أنه يحس بالغربة والوحدة وتفسير ذلك ربما يكمن في عدم توافقه وانسجامه مع أهل بلده بُست.

وهذا الشريف الرضي قد يشس من الناس من حوله حتى صار يرى بأنهم لا يهتمونه في شيء سواء أقبلوا عليه أم أدبروا عنه فيقول:

الناس حولك غريان على جيف      بلة عن المجذبان طاروا وإن وقعوا  
فما لنا فيهم إن أقبلوا طَمَعٌ      ولا عليهم إذا ما أدبروا جزعٌ<sup>3</sup>

كما يعاني شاعر المعرة أبو العلاء من ألم الاغتراب ووحشته ونتج عن ذلك إحساسه الشديد بالانفصال عن الآخرين حتى إنه كاد أن يجرّد أهل زمانه من كل صفة حميدة وهذا ما جعله يقول:

شرُّ أشجار علّمتُ بها      شجرات أثمرت ناسا  
حملت بيضاً وأغربة      وأتت والقوم أجناساً

<sup>1</sup> - سميرة سلامي، المرجع السابق، ص 162.

<sup>2</sup> - أبو منصور الثعالبي، المصدر السابق، ج 4، ص 335.

<sup>3</sup> - الشريف الرضي، الديوان، دار بيروت، مج 1، بيروت، 1961، ص 666.

كلهم أخفت جواهره      ما ردّا في الصّدر خثاسا  
لم تسبق عذبا ولا أرجا      بل أذيات وأدناسا<sup>1</sup>.

فالمعري يرى الناس كلهم يشتركون في قلة الخير وكثرة الشرور وكان ذلك متأصّل فيهم. وهذه الرؤية تعكس شدة اغتراب صاحبها حتى صار يحكم على الجميع بهذا الحكم.

\* الاغتراب عن قيم المجتمع وعاداته وأعرافه السائدة:

لما تختل الموازين وتتبدل الأعراف وتنحرف القيم الأخلاقية والاجتماعية، وتطغى عليها القيم الفاسدة والعادات الغريبة والشاذة تشعر النفوس النبيلة الأصلية بالاغتراب عن الناس الذين عمهم الفساد، وتلتجئ إلى التعبير عن اغترابها بكلمات عقد وسخرية، أو رفض، أو ثورة، أو هجوم<sup>2</sup>...

فهذا المعري يتنقد مجتمعه قائلا:

قد فُقدَ الصّدقُ وماتَ الهدى      واستُحسِنَ الغدرُ وقُلّ الوفاءُ  
واستشعر العاقلُ في سقمه      أن الرّدى مآعناه الشفاء<sup>3</sup>.

فهو يرى بأن أعراف المجتمع قد تبدلت والقيم الأخلاقية قد انحرفت، فصار المجتمع يستحسن المذموم في العرف ويقبل عليه، في حين أنه يقف بالمرصاد للمستحسن والممدوح والمطلوب فيه، ويقول في موضع آخر:

<sup>1</sup> - أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج 1، ص 558.

<sup>2</sup> - سميرة سلامي، المرجع السابق، ص 174.

<sup>3</sup> - أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج 1، ص 67.

لَهْفِي عَلَى لَيْلَةٍ وَيَوْمٍ	تَأَلَّفْتُ مِنْهَا الشَّهْرُورُ
وَالْفَيَا عُنْصُورِي زَمَانٍ	لَيْسَ لِأَسْرَارِهِ ظَهْرُورُ
قَدْ أَصْبَحَ الدِّينُ مَضْمَجِلًا	وَغَيَّرَتْ آيَةُ الدَّهْرِور
فَلَا زَكَاةَ وَلَا صِيَامَ	وَلَا صَلَاةَ وَلَا طَهْرُورُ
وَاعْتَاظَ جِلُّ النِّكَاحِ قَوْمَ	بِنِسْوَةٍ مَالَهَا مُهْرُورُ <sup>1</sup> .

يعكس أبو العلاء المعري- في هذه الأبيات- ما ظهر في مجتمعه من إهمال للفرائض كما يتحسر على ذلك الاضمحلال الذي أصاب الدين بإصابة أركانه، فقد قلبت الموازين وتغيرت الأمور العادية إلى شاذة والعكس صحيح، ولا بلاء أكثر من إصابة المرء في دينه فينحرف عن الطريق المستقيمة الصحيحة.

في الحقيقة لقد كثر من يذمّ الدهر والزمن سواء كان ذلك ترميزاً إلى المجتمع الفاسد أم قصداً للدهر دون المجتمع، ولكن قلّما نجد من يتحدث عن السوسة المتسببة في تبدّل الدهر واختلاله.

وهذا ابن لنكك يصرّح بأسباب انحراف الزمان واختلاله بأبيات يمكن أن تصفها بالرائعة - من أروع ما قيل في الشعر فيما نرى- قائلا:

يَعِيبُ النَّاسُ كُلَّهُمُ الزُّمَانَا	وَمَا لَزَمَانِنَا عَيْبُ سَوَانَا
نُعِيبُ زَمَانَنَا وَالْعَيْبُ فِينَا	وَلَوْ نَطَقَ الزَّمَانُ إِذَا هَجَانَا
ذَنَابُ كُلَّنَا فِي زِيٍّ نَاسٍ	فَسِبْحَانَ الَّذِي فِيهِ بَرَانَا
يَخَافُ الذَّنْبُ يَأْكُلُ لَحْمَ ذَنْبٍ	وَيَأْكُلُ بَعْضُنَا بَعْضًا عَيَانَا <sup>2</sup> .

<sup>1</sup> - المصدر نفسه، ج 1، ص 360.

<sup>2</sup> - سميرة سلامي، المرجع السابق، ص 178.

فالشاعر ابن لنكك يرى بأن نظرة الناس إلى الزمن دوماً تكون نظرة  
ئطير، وهي نظرة غير صائبة، فالعيب يكمن في بني البشر ولا دخل للزمن في  
ذلك، فهم يرتدون أقنعة تخفي الشرور المتأصلة فيهم، وكلام كهذا إذا  
عرض على أي إنسان محق فحتما سيقرّ بصدقه، فالنفس أمارة بالسوء، إلا  
أن صاحبها يحاول دوماً تبرئتها.

### \* الاغتراب السياسي:

إن ما يتجسد في الطبقة الحاكمة من فسادٍ والحلال خلقي، وما تتصف  
به من جورٍ وقسوة وظلم وديكتاتورية يؤدي إلى حدوث هوة كبيرة وفجوة  
واسعة بين الحاكم والشعب، هذا الأخير الذي يفقد الثقة به فيعلن سخطه  
على سياسة الدولة. وقد عبّر الشعراء - باعتبارهم عناصر من الشعب - عن  
اغترابهم السياسي بأساليب مختلفة وطرق عديدة<sup>1</sup>، فهذا الشاعر أبو الفرج  
علي بن الحسين بن هند يقول:

لنا ملك ما فيه للملك آلة      سوى أنه يوم السلام متوج

أقيم لإصلاح الوري وهو فاسدٌ وكيف استواء الظلّ والعودُ أعوج<sup>2</sup>.

فالشاعر يرى بأنه لا صلاح إلا بصلاح الحاكم، ويجب ألا ينتظر -  
أبدًا - التقويم ممن يشوبه الاعوجاج، فلا يمكن أن تنتظر من عصفور مبتور  
الأجنحة طيراناً؛ لأننا سننتظر بذلك تحقق شيء مستحيل.

والشاعر أبو العلاء المعري - وكما هو معروف بأنه من أشد الشعراء  
اغتراباً - لأنه ذاق تقريباً مرارة كل أنواعه - له نظرة للسلاسة والسياسة إذ  
يقول:

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 181.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 182.



يُسَوِّسُونَ الْأُمُورَ بِغَيْرِ عَقْلِ      فَيَنْفُذُ أَمْرُهُمْ وَيُقَالُ سَاسَةٌ  
فَأَفَّ مِنْ الْحَيَاةِ وَأَفَّ مِنْيْ      وَمِنْ زَمَنِ رِئَايَتِهِ خَسَاسَةٌ<sup>1</sup>.

فالمعري يرى بأن مسيري الأمور لا يملكون من مؤهلات التسيير إلا الاسم 'ساسة' لذلك أصبحت الرئاسة لقباً دون جوهر. وهذه نظرة تشاؤمية على اعتبار أن الحكم عام، فكما يوجد الخير يوجد الشرير - إن لم نقل بأقل درجة - فهذه النظرة تعكس الاغتراب الشديد الذي يعاني منه المعري بما فيه الاغتراب السياسي، ويقول في موضع آخر:

مَثَلُ الْمَقَامِ فَكَمْ أَحَاشِرُ أَمَةٍ      أَمَرَتْ بِغَيْرِ صِلَاحِهَا أَمْرًاؤَهَا  
ظَلَمُوا الرِّعْيَةَ وَاسْتَجَازُوا كَيْدَهَا      فَعَدَوْا مَصَالِحَهَا وَهُمْ أَجْرًاؤَهَا<sup>2</sup>.

فالشاعر يذهب هنا إلى أن حكام البلاد هم الذين ساهموا في فسادها وخرابها، إذ استفحل ظلمهم وجورهم للرعية، وهذا من دون شك سوف يؤلبها ضدهم، فقد خانوا الأمانة حين لم يقوموا بواجباتهم المنوطة بهم، وكثيراً ما يحدث الاغتراب السياسي للأفراد المضطهدين من طرف الساسة خاصة إذا تكتلوا في أحزاب، وهذا معروف عن العرب منذ العصر الأموي أين انقسم الشعب إلى أحزاب، وبسقوط الدولة الأموية وسيطرة بني العباس على الحكم خفت حدة هذه الأحزاب، إلا أن الاغتراب السياسي لأفراد وفئات معينة ظل قائماً، وفي طليعتها فرقة الشيعة التي ترى بأن بني العباس قد اغتصبوا الحكم، في حين أن الأحقية فيه للعلويين، ومن أشهر شعراء القضية الشاعر أبو فراس الحمداني الذي يرى بأن لا أحقية لبني العباس في الخلافة، كما هو الحال لمن سبقوهم من أمويين ومما قاله في هذا الصدد:

<sup>1</sup> - أبو العلاء المعري، لزوم مالا يلزم، ج2، ص39.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج1، ص56.

قام النبي بها يوم الغدير لهم	والله يشهدُ والأُملاكُ والأُممُ
حتى إذا أصبحت في غير صاحبها	باتت تنازعُها الذُؤبانُ والرخمُ
وصيرت بينهم شورى كأنَّهُمُ	لا يعرفون ولاَ الحق أيُّهُمُ
تالله ما جهلَ الأقوامُ موضعها	لكنهم ستروا وجه الذي علموا
ثم ادعاهما بنو العباس إرثهمُ	وما لهم قدَمَ فيها ولا قِدمٌ <sup>1</sup> .

يتضح من هذه الأبيات حقد الشاعر على مغتصبي الخلافة والذين كانوا يعرفون صاحبها ولكنهم حجبوا الحقيقة وستروها واحتالوا بأمهم شورى بينهم<sup>2</sup> لإظهار أحقيتهم في الخلافة. ويعلن الشاعر صراحة بما يشير بأن أبناء علي هم الأحق بالخلافة من غيرهم قائلا:

يا للرجال أما لله متصف	من الطغاة؟ أما للدين متقم؟
بنو عليّ رعايا في ديارهمُ	والأمرُ تملكُهُ النسوانُ والخُدَمُ <sup>2</sup>

فهو يرى هنا بأن المشكلة لا تكمن في قضية اغتصاب الخلافة فقط، بل في صيرورة مغتصبيها مسيرين من قبل الخدم والنساء، ويتحسر لما آلت إليه تلك الأوضاع.

ذكرنا أمثلة وشواهد شعرية فقط عن الاغتراب السياسي، ولذلك سنأخذ شاهدا نثريا.

فهذا بديع الزمان الهمذاني يصرُخ من هول ما وصله القضاء من بُردٍ قائلا:

<sup>1</sup> - أبو فراس الحمداني، المصدر السابق، ص 155.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص 154.

... يا لثارات القضاء، ما أرخص ما بيع، وأسرع ما أضيع!... يا للرجال! وأين الرجال؟ ولي القضاء من لا يملك من آلاته غير السبال، ولا يعرف من أدواته غير الاختزال... ولا يحسن من الفقه غير جمع المال... وما رأيك في سوس لا يقع إلا في صوف الأيتام، وجراد لا يسقط إلا على الزرع الحرام، ولص لا ينقب إلا خزائن الأوقاف، وكردّي لا يغير إلا على الضعاف، وذنب لا يفترس إلا عباد الله بين الركوع والسجود، ومحارب لا ينهب مال الله إلا بين العهود والشهود؟ وما زلت أبغض حال القضاة طبعا وجبلّة حتّى أبغضتهم ديناً وملة، وألعنهم ذربة حتى لعنتهم قربة...<sup>1</sup>

لا يخفي على أحد ما يمثله القضاء في الإسلام؛ فبفساده يفسد المجتمع، وبديع الزمان الهمداني يحدثنا عن حقيقة مرة جعلته ينبذ ركيزة من الركائز الأساسية في بناء المجتمع والمحافظة عليه في جميع مناحي الحياة، الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية.

### ج - الاغتراب عن الذات:

حينما يحس الإنسان بالوحدة والغربة والعجز أثناء انقطاع الروابط بينه وبين مجتمعه، لا بد أن يحاول قهر هذا الإحساس، ولتحقيق ذلك ثمة اتجاهان<sup>2</sup>:

#### - الاتجاه الأول:

يتجاوز فيه الإنسان واقعه ويتمسك بحريته، فيخلق لنفسه عالماً جديداً يعبر عن قدراته الحسية والعقلية الأصيلة، ويستعيد وحدته مع العالم دون تنازل عن ذاته الأصيلة.

<sup>1</sup> - سميرة سلامي، المرجع السابق، ص 200.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 219 - 220.

## - الاتجاه الثاني:

إذا لم يستطع الإنسان تحمل العيش وحيداً، فيستسلم ويخضع لسلطة هذا المجتمع سواء كانت سلطة سياسية، أم سلطة عادات وتقاليد وأخلاق سائدة فيه، ليتحول هذا الإنسان إلى آلة بشرية، ويتنازل تماماً عن فرديته، فيصبح مغتربا عن ذاته الأصيلة مكتسبا ذاتا جديدة زائفة - يملئها المجتمع - ويصبح بذلك متشيئاً.

### \* الاغتراب عن الذات في شعر الكدية:

يأتي شعر الكدية نتيجة للفقر والمظالم الاجتماعية وزيادة حدة الاستغلال والتفاوت الطبقي، واختلال الأوضاع العامة<sup>1</sup>، وهو ذلك الشعر الذي يمدح فيه الشاعر الحاكم مدحا كاذبا قصد التزلف والتكسب، وقد تراحم الشعراء على أعتاب الملوك والسلاطين لدحهم مقابل أموال يسدون بها حاجاتهم، ولا يخفى على أحد بأن الملوك كانوا يؤيدون ويستخدمون هؤلاء الشعراء المأجورين - إن صحَّ التعبير - لتثبيت أركان سلطانتهم وتأييد سياساتهم، وبذلك تزوّر الحقائق، ويصيرُ الباطلُ حقاً والجورُ عدلاً، وبلغ الغلو في المدح درجة فاقت التصورات، فهذا الشاعر أبو القاسم الزعفراني يقول في ممدوحه:

يا سامعَ الزور فيّ لي ذمّم	منها الضنى في هواك والسقم
أنت الذي دُنتَ بالسجود له	حتى لقد قيلَ رُبُّهُ صتم
ولي فؤادٌ غدوتَ مالِكُهُ	بلا شريك فليس ينقسم <sup>2</sup>

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 227.

<sup>2</sup> - أبو منصور الشعالي، المصدر السابق، ج 3، ص 353.

فهذا الشاعر جعل ممدوحه إلهاً يُسجدُ له، كما أنه يرى بأن هذا الممدوح قد ملك فؤاده، وهذا كلام فارغ من المعنى، ولكن الممدوح وعلى الرغم من ذلك، فإنه يستحبه ويقرب صاحبه؛ لأن الحكام عادة يحبذون من يضيفي على أشخاصهم العظمة والإجلال، مع أن هذا يعد عنهم - في الحقيقة - كل البعد، فهذا الشاعر ابن الحجاج يقول عن نفسه والملوك:

إن الملوك إذا هم اقتتلوا      أصبحت فيهم كلب من غلبا  
فلذاك أسكر غير مكترث      وألف مع خيشومي الذنبا<sup>1</sup>.

فلا يتأخر الشاعر - كما نرى - عن وصف نفسه بأذل وأوضع وأقبح الصفات، فهو يصف نفسه ويشبهها بالكلب، ولكن كلب الملك الغالب المنتصر؛ وهدفه في ذلك معروف وهو التزلف والتكسب من وراء المدح، ولو وصل به الأمر إلى التدني بنفسه إلى مرتبة الحيوان، ويقول في موضع آخر:

يا سادتي قول ميست      في مثل صورة حي  
لم يبق في الخرج شيء      أناذنون بشيء<sup>2</sup>.

فهو يعلن بصراحة عن قلة ذات اليد، فيمد يده للتسول من دون حياء ولا احتشام، وهذا دأب الكثير من أمثاله، فقد صار ما يمكن أن نسميه بالتسول الفني حرفة عندهم يمتنونها متى كانت الحاجة إلى ذلك، ومتى سنحت الفرصة، وتبلغ بالشاعر المتزلف والمتكسب إلى أن يُذل نفسه أمام مجامع الناس، من أجل كسب ود أو ربح درهم. ومن أمثلة ذلك الشاعر الذي يدعوه أكثر الناس بكل صفات الفحولة، كما يقدمونه على سواه من

<sup>1</sup> - المصدر نفسه، ج3، ص72.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج3، ص61.

الشعراء، ألا وهو الشاعر أبو الطيب المتنبي والذي يقول لممدوحه وهو في حال لا يُحسد عليها، بعد أن شُجَّ موضعٌ في رأسه من طرف الممدوح:

إن كان سرکم ما قال حاسدنا      فما لجرح إذا أرضاکم ألم

\* الاغتراب عن الذات في أشعار المجنون:

يتخلّى المغترّب عن ذاته بتخلّيه عن كل القيم الدينية والخلقية والروحية الرفيعة، ويتجلّى ذلك بوضوح في أشعار المجنون التي تكثر في بيوت اللهو ومواطن الفسق والفجور والدعارة، ويتنوع الشعر المأجّن فمنه ما يقال في الخمر والكفر، ومنه ما يقال في البغاء والغلمان، ومنه ما يقال في وصف العورات والمقاذ<sup>1</sup>...

يقول ابن الحجاج:

افضض الدنّ واسقني يا نديمي	اسقني من رحيقه المختوم
اسقني الخمرة التي نزلت فيـ	سها على القوم آية التحريم
اسقنيها فإنني أنا والقـ	ش جميعاً نبولها في الجحيم
اسقنيها ولا تكلني إلى النـ	ل عليها ولا إلى المشموم <sup>2</sup>

فابن الحجاج يجاهر بكفره وعصيانه لله، وأيُّ اغتراب وبلاء وابتلاء أكثر من هذا؟ حين يتعمد المرءُ تجنّب الصواب مع معرفته إياه، ويقول الشاعر نفسه في موضع آخر:

<sup>1</sup> - سميرة سلامي، المرجع السابق، ص 136.

<sup>2</sup> - أبو منصور الثعالبي، المصدر السابق، ج 3، ص 96.

يا خليلي قد عطشتُ وفي الخمر  
فاسقياني عِصْ التي نطق الوح  
والتي ليسَ للتأولِ فيها  
فاسقياني بينَ الدنانِ إلى أنْ  
مقعدًا بعد خفتي في نهوضي  
سكرة بعد سكرة تثبتُ اسمي  
اسقياني في المهرجان ولو كا  
اسقياني فقد رأيتُ بعيني  
حرة ريٍّ للحائم العطشانِ  
سي بتحرّمها من القـرآنِ  
مذهبٌ غير طاعة الشيطانِ  
ثرياني كبعض تلك الدنانِ  
أخرسٌ بعد كثرة الهذيانِ  
في المقاليج أو مع العميانِ  
نَ لخمسٍ بقينَ في رمضانِ  
في قرارِ الجحيم أينَ مكاني<sup>1</sup>.

فالشاعر يواصل في هذه الأبيات تصريحاته بعصيان الله عز وجل واتباعه غواية الشيطان، فقد سيطرت الشهوات والملذات عليه حتى سما في درجات الاغتراب؛ حين أحبّ التشيؤ والتحول إلى دنان والتشيؤ درجة عليا من درجات الاغتراب.

وبلغت أشعار البغاء والغلمان درجة من الانتشار، تتناسب طردياً واضمحلال سلطة القيم الدينية والخلقية والاجتماعية، ولم يختلف فيها الحاكم عن المحكوم، فهذا الأمير تاج الدولة يعلن شذوذه وتعلقه بالغلمان بكل جرأة وصراحة:

سقاني سحرًا خمرة  
غزالًا فائن الطرف  
أنا الملكُ وقد ملكتُ  
وقد زرقنَ صدغيه  
فمن أسود في أيه  
وقد لاحت لي الثرة  
مليحُ الوجه والطرة  
تُ رحي صاحب الوفرة  
على أبهى من الزهرة  
ض في أهر في صفرة

<sup>1</sup> - المصدر نفسه، ج3، ص 70.

إذا حاول أن يجيه —————  
 أعان الشيخ إبليس —————  
 ل أو تبدو له نفسه  
 عليه فأتى مكررة<sup>1</sup>.

فالأبيات تصور لنا أميرا - أمير مجنون طبعاً - قد بلغ من مجونه كل مبلغ، حتى إنه صار يعظم إبليس فيصوره شيخاً، وأي شيخ؟ يعين على قبيح الأعمال ويأتي بالغلمان بالإكراه أو الاحتيال.

وبلغ مجنون وسخف الشعراء إلى أن صار عند بعضهم ضرورة من ضرورات الحياة، ومنهم من أظهر الجنون والحمق والخلاعة ليقربه الناس، وفعلاً قد قربوا الكثيرين - وهذا يعكس لنا صورة المقربين هؤلاء وصورة المجتمع - وأجزلوا لهم العطاء حين أغدقوا عليهم الأموال، ومن أمثلة هؤلاء الشعراء الشاعر أبو الرقعمق الذي يقول:

وقد مجنتُ وعلمتُ المجونَ فما	دعى بشيء سوى ربّ الجانّاتِ
وذاك أنّي رأيتُ العقلَ مطرَحاً	فجئتُ أهلَ زمانِي بالحمّاقاتِ
إذ لا أروح ولا أغدو إلى وطنٍ	إلا في ربعِ خمارٍ وحنّاتِ
أيام أسحبُ أذيالَ الهوى مَرَحاً	مصرعاً بين سكراتٍ ونشواتِ
عوضتُ منهن أحزاناً تؤرقني	بعد السرور وفرحاتٍ بترحات <sup>2</sup> .

فأبو الرقعمق في هذه الأبيات يصرّح بافتعال الحمق والمجون، معللاً ذلك بأن زمن استخدام العقل وإعماله قد ولى، فكان لزاماً عليه ارتداء قناع ليصل إلى ما يصبو إليه، كما يرى بأن الغدو وراء الحانّات يجلب النشوات التي بدورها تذهب الأحزان والأتراح، ذاكرة بأن ذلك يتخلله الحزن والأرق وكان الثنائيات هذه تأتي سجلاً، ويقول في موضع آخر:

<sup>1</sup> - المصدر السابق، الجزء نفسه، الصفحة نفسها.

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ج 1، ص 331.



أَيَّامٌ لِلْفَسَقِ قَلْدُونِي	فَأَطِيبُ الْعِيشَ كَانَ عِنْدِي
وَأَقْوَدُ النَّاسَ فِي سَكُونِ	وَكُنْتُ طَبَّابًا بِهِ بَصِيرًا
وَكَمْ مَلِيحَ حَوْتٍ يَمِينِي	فَكَمْ غَزَالٍ أَخَذْتُ قَسْرًا
مَنْ كُلُّ أَرْضٍ وَيَقْصِدُونِي	وَالنَّاسُ يَسْعَوْنَ لِحَوْدَارِي
وَذَا يُوَافِي بِشُوبٍ تُونِي	فَذَا يُوَافِي بِشُوبٍ خَزْرُ
وَذَاكَ يَمْضِي وَذَا يَجِينِي	وَذَا يَغْذِي وَذَاكَ يَهْدِي
أَصْفَعُهُمْ ثُمَّ يَصْفَعُونِي	وَكَانَ خَلْقِي لَهُمْ رَضِيًّا
أَحْسَنُ مِنْ عَفْتِي وَدِينِي	قَدْ أَجْمَعَ النَّاسُ أَنَّ حَقِّي
وَالنَّاسُ إِذَا ذَاكَ يِعْدُونِي	قَدْ عِشْتُ دَهْرًا أَعُولُ عَقْلِي
حَقِّي، وَقَدْ عَالَنِي جُنُونِي <sup>1</sup>	فَمَذْ تَحَامَقْتُ قَدْ كَسَانِي

أطلق الشاعر أبو الرقعمق العنان للفسق والخلاعة، بعدما كان حبيس الفاقة والضيق والحرمان واستفاد من ذلك حين قربته الناس وأكرموه بعدما افتعل الجنون والحمق والسخف، فاغتراب أبي الرقعمق يكمن في فقدان القوة في التأثير على الآخرين من غير انسلاخ عن الذات؛ حين لجأ إلى الاستسلام لأهوائهم وما يستميلون، وكل ذلك رجاء كسب وذهم وجزيل عطائهم، فتجرد بالتالي من قيم كان يجب على كل فرد سوي في المجتمع التحلي بها.

ونكتفي بهذا القدر نظرًا للتعدد والتنوع، إذ يتعذر علينا ذكر أمثلة عن كل الأنواع إضافة إلى فحش شعر هذه المواضع.

<sup>1</sup> - المصدر السابق، ج ١، ص 341 - 342.

## د - اغتراب الصوفية:

باغتراب الإنسان عن ذاته يكتسب ذاتا أخرى، والتي قد تكون ذاتا كلية شمولية كما في رحلة الصوفي\* إلى الله عز وجل، ليصبح إنسانا كاملاً، فيخرج من سجن الاغتراب<sup>1</sup>، وقد أجمع المتصوفة على أن النفس هي عنصر الشر\*\* في الإنسان، وهي مستقر الشهوة والهوى، لذلك عمل الصوفية على مجاهدة هذه النفس بطرق عدة أهمها: الجوع والعطش والسهر والصمت والخلوة والعزلة... وأيضاً تطهير هذه النفس من الأخلاق الرضيعة والمذمومة لاستبدالها بالأحسن، وهكذا يتم لهم مخالفة النفس وبالتالي الانفصال عنها<sup>2</sup>، وهذا اغتراب شديد ومن أبرز شعراء التصوف: الحلاج، أبو بكر الشبلي، والمتنجب العاني، فهذا الحلاج يعبر عن النزاع القائم بينه وبين نفسه قائلاً:

دنيا تغالطني كأن      بي لست أعرف حالها  
حظرتُ المليك حرامها      وأنا احتमितُ حلالها  
فوجدتها محتاجة      فوهبتُ لذتها لها<sup>3</sup>.

\* - اختلف الباحثون في نسبة كلمة "صوفي" فمنهم من يرى بأن الصوفي سمي لذلك نسبة إلى لبسه الصوف، ومنهم من يرى أن الصوفية سميت صوفية نسبة للصفاء والنقاء... (ينظر: سميرة سلامي، المرجع السابق، ص 260).

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 259.

\*\* - ففي القرآن الكريم يقول الله عز وجل: «وما أبرئ نفسي، إن النفس لأمارة بالسوء، إلا ما رحم ريك» يوسف 53.

- وفي الحديث الشريف قال الرسول - عليه الصلاة والسلام - : « أعدى عدو لك نفسك التي بين جنبيك ».

<sup>2</sup> - سميرة سلامي، المرجع السابق، ص 270.

<sup>3</sup> - المرجع السابق، ص 270 - 271.

فالحلاج قد تخلّى عن الملذات وحارب نفسه أيما حرب؛ حينما حرّم عليها الحلال والحرام على السّواء، كل ذلك من أجل التقرب إلى الله والفناء\* في حبه.

أمّا أبو بكر الشبلي\*\* فإنه جاهد نفسه في مواضع ومناسبات يصعب فيها جهادها، إذ بلغ به أن قاطع الأعياد التي هي أكثر الأيام إقبالاً عن الحياة ومسراتها والاهتمام بالمحيط من الأهل والأصدقاء، ويقول في ذلك:

تزين الناسُ يوم العيد للعيد	وقد لبستُ ثياب الزرّق والسّود
أعددت نوحاً وتعديداً ونائحةً	ضدّاً من الرّاح والريحان والعود
وأصبح الكلُّ مسروراً بعيدهم	ورحتُ فيكم إلى نوح وتعديد
أصبحتُ في ترح والكل في فرح	شُتان بيني وبين الناس في العيد <sup>1</sup> .

يتضح من هذه الأبيات انصراف الشاعر عن الأعياد ونبذه لها وللمسرات التي تجلبها بقدموها، فحبّ هذه الملذات والمسرات تصدر عن النفس، فالانصراف عنها إذن انصراف عن النفس وبالتالي كبجها والانفصال عنها.

ومن أبشع آفات النفس آفة التعصّب، والمتصوفة قد تحرروا من هذه الآفة، فبالإضافة إلى نظرتهم لتساوي المذاهب وعدم الميل إلى أحدها فقد دعوا إلى وحدة الأديان - التي يدعوها روجي قارودي بالإبراهيمية - فهذا الحلاج يقول:

\* - الفناء الصوفيّ يعني تلاشي الصوفيّ عن وجوده الحسي، فالفاني كما يقول الصوفية لا يحس بما حوله ولا يحس بنفسه، فقد فني عما سوى الله (ينظر: المرجع نفسه، ص 288).

\*\* - كان الشبلي هذا أميراً وتخلّى عن إمارته، وتنازل عن حقوقه ليخلي بينها وبين الطريق التي يسلكها (ينظر: المرجع نفسه، ص 272).

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 274.

تفكرت في الأديان جدُّ مُحقق  
فألفيتها أصلاً لهُ شُعْبَ جَمًّا  
فلا تطلُبُنِ للمرءِ دينًا فائِةً  
يُصدُّ عن الأصلِ الوثيقِ وإِنِّما  
يطلبُهُ أصلٌ يعبرُ عندهُ  
جَمِيعَ المعالي والمعاني فيفهما<sup>1</sup>.

ويقول المتعجب العاني:

وموسويّ مسيحي أنا وإلى  
محمد رحتُ عن قصدي ببرهانٍ  
فسمي وادعني في كل منزلة  
بمسلم ويهوديّ ونصراني<sup>2</sup>.

فالحلاج في الأبيات السابقة يدعو إلى وحدة الأديان، والتي يرى بأن منبعاها واحد وأصلها مشترك، فإذا ما فكر فيها المرء وتحقق فإنه سيجدها ذات أصل جوهرى مشترك، وهي نظرة المتعجب أيضا.

وهذه النظرة الصوفية التي تنبذ التعصب والتمذهب والتحزب في الحقيقة تحسب لهم فمحاربة التعصب من أصعب الأمور.

وعلى اعتبار أن المتصوف مغترب فإن غربة كهذه تكون ذاتا أخرى تحوي من الصفات الإنسانية صفات سامية، من بينها نبذ التعصب والدعوة إلى الوحدة.

والصوفي- بالإضافة إلى فئاته في حب الله- يعظم ويقدّس شيخه وإمامه، ولكل طريقة صوفية شيخ وإمام أعلى، يجب على كل المريدين تعظيمه والاعتراف بفضله، فهذا المتعجب العاني يتحدث عن الإمام علي- رضي الله عنه- باعتباره شيخاً أعلى لطريقته قائلا:

<sup>1</sup> - الحلاج، الديوان، صناعة وإصلاح أبو طريف الشيبى، منشورات الجمل، ألمانيا، ط1، 1997،

ص35.

<sup>2</sup> - سميرة سلامي، المرجع السابق، ص 298 - 299.

وخلني و يقيني ابي حسن  
فليس شائك في حكم الهوى شاني  
حظيت منه بكثر لا يبيد كما  
بليت يا عاذلي منه مجرمان<sup>1</sup>.

فالشاعر في هذين البيتين يعطينا صورة عن تعظيمه لشيخه، وهذا شأن الشعراء الصوفيين جلهم ؛ فالاعتراف بفضل شيخ الطريقة سمة من سمات شعرهم، وقد تطور التصوف إلى درجة أن أصبح التوكل عند الصوفية في كل شيء؛ بمعنى ترك كل الأمور لمشئته الله من غير القيام بأي عمل أو حركة<sup>2</sup>، ومن هؤلاء المنتجب العاني الذي يقول في هذا الصدد:

فوكّل إلى الله كلّ الأمور  
وكن لإلهك عبداً شكور  
فإنك تلقاه في القلب  
فسلم إليه وخلّ التعب<sup>3</sup>.

فالتوكل الذي يتحدث عنه الشاعر هذا يعني الاستسلام الكلي، وهذا رأي أكثر المتصوفة والذين تحولوا إلى جماعات من اللامبالين وحججهم في ذلك مفهوم التوكل عندهم فالصوفي يرى بأنه مُغترب عن الله بعد معرفته ولقائه؛ لأن الروح قد اغتربت عن أصلها الذي نشأت فيه فالروح لطيفة ربانية أودعها خالقها في جسد ترابي، وقد كانت في عالم الأظلة ظلاً؛ ذلك العالم السابق لوجود الأشباح والأجساد، وقد جزعت الأرواح حين

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 276.

<sup>2</sup> - وللدلالة على ما أصبح عليه التوكل حكاية الدرويش الذي سقط في دجلة ورآه رجل من المارة، وعرف أنه لا يعرف السباحة فقال له: ألا تريد أن ادعوك من يخرجك إلى الشاطئ؟ فقال: لا فقال له: افترّد أن تغرق؟ فقال الدرويش: لا فقال الرجل: فما تريد إذن؟ فقال: يفعل الله ما يريد! ما شأني بإرادتي". ( ينظر: د. نيكلسون، الصوفية في الإسلام، ترجمة وتعليق نور الدين شريبه، مكتبه الخانجي، 1951، ص 45).

<sup>3</sup> - سميرة سلامي، المرجع السابق، ص 279.

اغتربت عن ذلك العالم، وقيدت بالجسد وهبطت إلى الأرض - ذلك العالم الذي يسوده الفساد- فالمتصوفة يرون في عالم الروح وطنهم الأول الذي فارقه، ولذلك يشعرون بأنهم غرباء في الأرض التي هي مقرّ مؤقت، وسجن لأرواحهم<sup>1</sup>، يقول الخصبي:

كم قد رتعا فوق أفلاك العلا      في ظلّ طوبى في رضى رضوان  
حتى هبطنا بالذنوب إلى التي      صارت لنا سجنًا من الأسجان<sup>2</sup>.

فهو يرى بأن الأرض هي سجن له، وأن وطنه الأصلي موجود في الأعلى ونفس النظرة يراها الحلّاج إذ يقول:

فها أنا في حبس الحياة ممثّع عن      الأنس، فاقبضني إليك في الحبس<sup>3</sup>.

فالحلاج يدعو الله بقبض روحه، فقد ملّ وسئم من سجن الحياة الذي لم يجد فيه غير الوحشة، ومهما يكن فالصوفي في حال اغترابه وانفصاله عن نفسه لا يبقى في حالته السلبية هذه بل يعود إلى التعايش مع المجتمع، مع بقائه محافظاً عن صفاته الربانية وذاته الجديدة المكتسبة، هاتفا بالقومية الإنسانية عامة<sup>4</sup>.

## 6 - قهر الاغتراب ومحاولة تجاوزه:

كما سبق وأن تطرقنا إلى النظرة المزدوجة للاغتراب من سلبى وإيجابى، وعلى اعتبار أن الاغتراب الإيجابى لا يشكل عائقاً كبيراً أمام صاحبه أو

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 281.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 282.

<sup>3</sup> - الحلّاج، المصدر السابق، ص 48.

<sup>4</sup> - سميرة سلامي، المرجع السابق، ص 300.

المجتمع، فإن الاغتراب السلبي عكس ذلك وعليه حاول الشعراء المغتربون قهره والانتصار عليه.

نعلم أن الإنسان المغترب يشعر بالألم فيسعى إلى التخفيف من إحساسه هذا، فيتخير السبل الكفيلة بذلك، وهذه السبل تختلف من شخص إلى آخر إذ تتراوح بين السلبية والإيجابية، وبين الاستسلام والتحدي، وبين الانسحاب والمواجهة، ويمكن للشخص الواحد اللجوء إلى أكثر من شكل واحد لمواجهة اغترابه<sup>1</sup>.

فقد استسلم بعض الشعراء وابتعدوا عن المعارضة والمواجهة لاغترابهم، فهذا الشاعر أبو سليمان الخطابي يقول:

ما دمت حيًا فدارِ الناس كُلَّهُمْ      فأئما أنت في دارِ المداراةِ  
من يدرِ دارِي ومن لم يدرِ سوف يُرى      عمًا قليل نديمًا للندامات<sup>2</sup>.

فهذا الشاعر يرى بأن الاستسلام الكلي هو الأنسب للإنسان البسيط في هذا المجتمع حتى يتفادى النتائج السلبية لأنه إن لم يسلك هذا المنهج سيصبح نادمًا بعد أن تحلّ به المصائب والنكبات، فالمداراة وقاية له.

أما البعض الآخر منه فقد لجأ إلى الخمرة لينسى همومه وأحزانه، فهذا السّري الرفاء يدعو إلى اغتنام فرص الدّهر والانغماس في الملذات قبل فواتها<sup>3</sup> قائلا:

ألا فاسقني الخمر مشمولاً      نُصبُّ على الليل صبحًا منيرًا  
موردة اللون مسكينة      تعزُّ الذليل وتغني الفقيرا

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 203.

<sup>2</sup> - أبو منصور الثعالبي، المصدر السابق، ج 4، ص 335.

<sup>3</sup> - سميرة سلامي، المرجع السابق، ص 204.

صريعُ النواذب من لم يكن      جليدًا على الهولِ منها صبورًا  
فكن موقتًا بذهاب الصُّبا      ومغتتمًا منه دهرًا قصيرا  
فإن الشبابَ له مدَّةٌ      تُفَضُّ فتذهبُ عنك السُرورُ<sup>1</sup>.

فالشاعر هنا يرى بأن من لم يستغل الفرصة - متى أتحت له - في هذه الحياة فسيكون مآله الندم والحسرة، فالأيام الحلوة في حياة الإنسان معدودة وأحلاها في فترة الفتوة والشباب، وبناءً على ذلك عليه - حسب الشاعر - معاقرة الخمر ليمتلئ نشوة كما عليه ألا يضيع أية فرصة للهو والانصراف إلى الملذات؛ لأن مصائب الدهر تأتي على غفلة منه فتذهب ما فيه من نعمة.

ولجأ فريق آخر من الشعراء إلى أسلوب الانسحاب والهروب من مواجهة الواقع وذلك بالهجرة والرحيل<sup>2</sup>.

فهذا الشريف المرتضى يدعوا إلى هجر البلاد التي يُمس فيها شخص الإنسان ويتنقصُ فيها من كرامته قائلا:

بذل بلادك إما كنتَ كارِها      دارًا بدارٍ وأجراعًا بأجرع  
كم ذا المقامُ على هونٍ ومهضمَةٍ      وقارصٍ من يدِ الأقوامِ لذاع  
أهلُ الضيمِ والبيداءِ معرضةٌ      وفي قرا الثَّابِ اقتادي وأنساعي<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - السري الرفاء، الديوان، تقديم وشرح كرم البستاني، مراجعة نهد جعفر، دار صادر، بيروت، ط1، 1996، ص225.

<sup>2</sup> - سميرة سلامي، المرجع السابق، ص 209.

<sup>3</sup> - الشريف المرتضى، الديوان، تحقيق رشيد الصغار، دار إحياء الكتب العربية، ج2، 1958، ص 233 - 234.



وقال في موضع آخر:

وما مقامُ الكريم في بلدٍ يُنفقُ فيه الحياء والأدبا<sup>1</sup>.

فالمرتضي يرى بأنه لا بديل من هجر البلاد التي يشعر فيها الإنسان بالظلم والقهر خاصة إذ أجمع الناس على بغضهم، فيفقد الحياء كما تقل الإنسانية.

وكان الزهد أيضا ملاذاً للشعراء الذين يبحثون عن الاطمئنان والارتياح النفسي.<sup>2</sup> وفي هذا الصدد يقول الشريف المرتضى:

خَلَّ لأبناء الغنى دنياهمُ      فمن يهن هذا الثراء لم يهن  
فإنما الراحة في هجر الغنى      والمالُ للألباب همٌ وحزن  
سيان - والذهر أخو تبدلٍ -      خصبٌ وجذبٌ وهزالٌ وميمن<sup>3</sup>

فالشاعر في هذه الأبيات يبحث على الانصراف عن الدنيا وملذاتها وزخارفها؛ لأن الزوال هو سمة هذه الدنيا وميزة من مميزاتها الأساسية، فهي آيلة إلى الفناء - وإن طالت - في آخر المطاف، ولا فرق حينها بين الغنى والفقر ولا بين الهزال والسمن.

أمّا أبو العلاء المعري وهو كما ذكرنا أشد الشعراء اغتراباً، فهو يدعو إلى العزلة والتفرد قائلاً:

فما للفتى إلا انفرادٌ ووحدةٌ      إذا هو لم يُرزق بلوغَ المآرب<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - المصدر السابق، ج1، ص55.

<sup>2</sup> - سميرة سلامي، المرجع السابق، ص210.

<sup>3</sup> - الشريف المرتضى، المصدر السابق، ج3، ص350.

<sup>4</sup> - أبو العلاء المعري، لزوم ما لا يلزم، ج1، ص122.

وقال أيضا في موضع آخر:

دنايا ليس يؤمنها الخلطُ	إذا انفردَ الفَتَى أمِنْتُ عليه
ولا غلطٌ يُخافُ ولا غِلَاطُ	فلا كذبٌ يُقالُ ولا نعيمٌ
وفي هاديه من خزي عِلَاطُ <sup>1</sup>	وكم نهضَ امرؤٌ من بين قوم

فالمعري يرى في العزلة الأمان من دنايا الاختلاط في الحالات العامة، فإذا فشل المرء في قضاء حوائجه فإن العزلة حينها تصبح لازماً عليه، كما يرى بأن التدين كفيل بحل أزمة المرء؛ إذ يصبح منصرفاً عن المجالس التي تكثر فيها النميمة والكذب، كما يذكر ممثلاً بكثرة من نهض من المجالس مذموماً مدحوراً يملؤه الخزي والعار، ويصل بالمعري الاغتراب إلى درجة تمنّي الموت إذ يقول:

ربّ متى أرحلُ عن هذه الدنيا      فإني قد أطلتُ المَقَامَ<sup>2</sup>.

فقد سئم الشاعر هذه الحياة، ورأى بأنه قد عاش مدى، فتناست هذه المدة طردياً مع الملل والكلل، فالمعري يتمنى الرحيل اليوم قبل الغد، وهذا دليل على عمق اغتراب هذا الشاعر الذي ألَمَّ به الدهر وأصابه بنوائب عدة أهمها، فقدان البصر في سن مبكرة.

ومن الشعراء من يرى بأن الخلاص لا يكون إلا بالثورة والتمرد والمقاومة ورفض الظلم فهذا ابن نباتة السعدي يقول:

حَتّامَ نَقْدُمُ والأَيّامُ تغلبنا	وغيرنا يغلبُ الأَيّامُ بالفشل؟
يا أهل بابلَ عزم قبلةُ فِكْري	في الثّائباتِ وسيفي بَعْدَهُ عَذلي
وعندكم نَعَمٌ عندي مصائبها	لَكُمْ وَصَالُ الغواني والصبابة لي
ما لي أغيرُ على دهر فأسلُبُهُ	ويجمّونُ وفي أيديهم نفلي
إن لم تسلي المواضي عن جامهم	إذا تطايرنُ فالتقصيرُ من قبلي <sup>1</sup>

<sup>1</sup> - المصدر نفسه، ج2، ص5.

<sup>2</sup> - المصدر السابق، ج2، ص375.

فالشاعر في هذه الأبيات يذكر بأنه خرج عن صمته، فيتهدد ويتوعد بإعمال السيف في رقاب الظالمين الذين ما انفكوا يستحوذون على كل الخيرات، ويفوزون بكل الامتيازات، أما هو وقبيله فكان الفشل دوما حليفهم. ويقول الشريف الرضي في نفس الصدد:

إلى كم ذا التردد في الأمانى	وكَمْ يُلَوِّى بناظري السُّرابُ
ولا نفعٌ يُنَارُ ولا قَتَامٌ	ولا طَعْنٌ يُشَبُّ ولا ضرابُ
ولا خيلٌ معقّدةُ النواصي	يَمُوجُ على شكائِمِها اللَّعابُ
عليها كُلُّ ملتهبِ الحواشي	يصيبُ من العدوِّ ولا يُصابُ
ساخطِبُها بِمجدِ السيفِ فعلاً	إذ لم يُغْنِ قولٌ أو خِطَابُ
وَأَخَذَها وإن رَغِمَتْ أنُوفٌ	مغالبة وإن ذُلَّتْ رِقَابُ <sup>2</sup>

فالشريف الرضي يصرّح هنا باستخدام القوة، فقد بلغت الأمور درجة أصبح الانتفاض والثورة عليها حتمية لازمة، ولكن قبل هذا أشار الشاعر إلى انتهاج الطرق السلمية في البداية؛ من قول وخطاب، فإن لم يجد ذلك نفعا ولم يؤت ثماراً لجأ إلى السيف.

وهكذا فقد تراوحت حلول الشعراء المختارة لمواجهة اغتراباتهم بين<sup>3</sup>:

- السلبية: من عزلة وانفراد ورحيل وتمني موت...

- والإيجابية: من رفض للهروب والانزهاج، والنظر إلى الحياة نظرة تفاؤلية، والتصميم على التغيير عن طريق الرفض والثورة.

<sup>1</sup> - أبو منصور الثعالبي، المصدر السابق، ج2، ص388.

<sup>2</sup> - الشريف الرضي، المصدر السابق، مج1، ص126 - 127.

<sup>3</sup> - سميرة سلامي، المرجع السابق، ص214 - 215.

## المصادر والمراجع المعتمدة

### المصادر

#### القرآن الكريم.

- 1- البغدادي عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب، المطبعة السلفية، القاهرة، ج2.
- 2- الإمام الترمذي، الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية ج 2.
- 3- أبو تمام، الديوان، تقديم وشرح محي الدين صبحي، دار صادر، بيروت، مج 2 1997.
- 4- التوحيدي أبو حيان، الإشارات الإلهية، تحقيق د. وداد القاضي، دار الثقافة، بيروت ط 2، ج 1، 1982.
- 5- ابن ثابت حسان، الديوان، تحقيق د سيد حنفي حسنين، دار المعارف، القاهرة ط2، 1973.
- 6- الثعالبي أبو منصور، يتيمة الدهر، مطبعة السعادة، القاهرة، ط2، ج3، 1956.
- 7- الجاحظ، الحنين إلى الأوطان، تصحيح الشيخ طاهر الجزائري، مطبعة المنار، مصر.
- 8- ابن جعفر أبو الفرج قدامة، نقد الشعر، تحقيق وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب، بيروت.
- 9- الحلاج، الديوان، صناعة وإصلاح أبو طريف الشبي، منشورات الجمل، ألمانيا ط1، 1997.
- 10- الحمداني أبو فراس، الديوان، تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1983.
- 11- الحموي ياقوت، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ج5.
- 12- ابن أبي خازم بشر، الديوان، تحقيق د. عزة حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1960.

- 13- ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق محي الدين عبد الحميد، ط10، ج 1 1975.
- 14- الخوارج، الديوان، جمع وتحقيق نايف محمود معروف، دار المسيرة، بيروت 1983.
- 15- الذبياني النابغة، الديوان، تحقيق وشرح كرم البستاني، دار صادر، بيروت.
- 16- ابن ذريح قيس، الديوان، تحقيق حسين نصار، مكتبة مصر، 1977.
- 17- الرضي الشريف، الديوان، دار بيروت، مج 1، بيروت، 1961.
- 18- الرفاء السري، الديوان، تقديم وشرح كرم البستاني، مراجعة نهد جعفر، دار صادر، بيروت، ط1، 1996.
- 19- ابن قيس الرقيات عبيد الله، الديوان، تحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر بيروت، 1985.
- 20- ذو الرمة، الديوان، تقديم ومراجعة وتعليق زهير فتح الله، دار صادر، بيروت ط1، 1995.
- 21- ابن الرومي، الديوان، تحقيق حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج 1.
- 22- ابن أبي سلمى زهير، الديوان، دار صادر، بيروت.
- 23- الشنفرى، الديوان، إعداد وتقديم طلال حرب، دار صادر، بيروت، 1996.
- 24- أبو تمام، الديوان، تقديم وشرح محي الدين صبحي، دار صادر، بيروت، مج 2 1997.
- 25- ابن العبد طرفة، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1979.
- 26- العرجي، الديوان، تحقيق خضر الطائي، رشيد العبيدي، الشركة الإسلامية للطباعة والنشر، بغداد، 1965.
- 27- عنتره، الديوان، تحقيق عبد المنعم عبد الرؤوف شلي، المكتبة التجارية، القاهرة.
- 28- امرؤ القيس، الديوان، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط 5 1990.

- 29- امرؤ القيس، الديوان، تحقيق حسن نور الدين، منشورات دار الحكايات، لبنان ط1، 2003.
- 30- ابن كلثوم عمرو، الديوان، دار صادر، بيروت، ط1، 1996.
- 31- ليبد، الديون، شرح الطوسي، تقديم د. حنا نصر الحنّي، دار الكتاب العربي بيروت، ط2، 1996.
- 32- ابن عبد الله جميل، الديوان، تحقيق حسين نصار، مكتبة مصر، ط2، 1967.
- 33- المتنبي أبو الطيب، الديوان، شرح أبو البقاء العكبري، ضبط كمال طالب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، مج4، 1997.
- 34- ابن محمد عبد الله، قرى الضيف، تحقيق عبد الله بن حمد المنصور، دار النشر أضواء السلف، الرياض، ط1، ج5، 1997.
- 35- المرتضى الشريف، الديوان، تحقيق رشيد الصغار، دار إحياء الكتب العربية ج2، 1958.
- 36- المعري أبو العلاء، سقط الزند، شرح أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1990.
- 37- المعري أبو العلاء، لزوم مالا يلزم، تحرير وشرح كمال اليازجي، دار الجليل بيروت، ج1، 2001.
- 38- ابن مقبل تميم، الديوان، تحقيق د. عزة حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم، دمشق، 1962.
- 39- ابن الملوّح قيس، الديوان، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، مكتبة مصر، 1965.
- 40- أبو نواس، الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996.
- 41- ابن الورد عروة، الديوان، شرح ابن السكيت، تقديم راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1997.

## المراجع

- 42- بدوي عبد الرحمن، دراسات في الفلسفة الوجودية، دار الثقافة، بيروت، ط 3، 1983.
- 43- بدوي عبده، الغربة والاغتراب والشعر، دار قباء للطباعة والنشر، 1998، تقديم أحمد غريب.
- 44- البرزه أحمد مختار، الأسر والسجن في شعر العرب، مؤسسة علوم القرآن دمشق، سوريا، ط 1، 1985.
- 49- بلبع عبد الحكيم، حركة التجديد في الشعري في المهجر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1980.
- 50- بوقرورة عمر، الغربة والحنين في الشعر العربي الحديث في الجزائر، منشورات جامعة باتنة، 1997.
- 51- الحايك منذر، أبو فراس الحمداني رحلة الحياة ومسيرة الممات، منشورات دار علاء الدين، ط 1، 2000.
- 52- حماد حسن محمد حسن، الاغتراب عند إيريك فروم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 1995.
- 53- خضر سناء، النظرية الخلقية عند أبي العلاء المعري بين الفلسفة والدين، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 1999.
- 54- الخطيب حسام، محاضرات في تطور الأدب الأوربي، مطبعة طربين، دمشق 1975.
- 55- خليفة عبد اللطيف محمد، دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2003.
- 56- خليل عماد الدين، في النقد الإسلامي المعاصر، مؤسسة الرسالة، ط 3، 1984.
- 57- الدهان سامي، قدماء ومعاصرون، دار المعارف، مصر.
- 58- رجب محمود، الاغتراب سيرة مصطلح، دار المعارف، مصر، ط 2، 1986.

59- الزعيم أحلام، أبو نواس بين العبث والاغتراب والتمرد، دار العودة، بيروت ط1، 1981.

60- سلامي سميرة، الاغتراب في الشعر العباسي، دار الينابيع، دمشق، 2000.

61- شاخت ريتشارد، الاغتراب، ترجمة: كامل يوسف حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1980.

62- شتا السيد علي، نظرية الاغتراب، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1993.

63- شكري غالي، المتمي، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

64- الشتمري الأعلم، شعر زهير بن أبي سلمى، تحقيق د. فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب، سوريا، 1980.

65- الصائغ عبد الإله، الخطاب الشعري الحداثوي والصورة الفنية، المركز الثقافي العربي، 1999.

66- طحطح فاطمة، الغربية والحنين في الشعر الأندلسي، منشورات كلية الآداب جامعة محمد الخامس، المغرب، ط1، 1993.

67- عز الدين يوسف، قديم لا يموت جديد لا يعيش، دار الإبداع الحديث للنشر والتوزيع.

68- العشماوي محمد زكي، الأدب وقيم الحياة المعاصرة، دار النهضة العربية، بيروت 1980.

69- العمصي أمين صالح محمود، الغربية والحنين في الشعر الفلسطيني بعد المأساة منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ليبيا.

70- الفاخوري حنا، الموجز في الأدب العربي وتاريخه، دار الجيل، بيروت، ج2 1991.

71- فاروق عبد الخالق، محمد فرج، أزمة الانتماء في مصر، مركز الحضارة العربية، ط، 1998.

72- القاضي النعمان، أبو فراس الحمداني، الموقف والتشكيل الجمالي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1982.



- 73- قميحة مفيد محمد، الاتجاه الإنساني في الشعر المعاصر، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1981.
- 74- القيسي أبو رياش أحمد بن إبراهيم، شرح هاشميات الكميت، تحقيق داود سلوم نوري حمودي القيسي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت، 1984.
- 75- عبد الله مجدي أحمد محمد، الاغتراب عن الذات والمجتمع وعلاقته بسمات الشخصية، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 2001.
- 76- مروة محمد رضا، أبو فراس الحمداني الشاعر الأمير، دار الكتب العلمية، بيروت ط1، 1990.
- 77- نيكلسون، الصوفية في الإسلام، ترجمة وتعليق نور الدين شريبه، مكتبته الخانجي 1951.
- 78- ميكل أحمد، دراسات أدبية، دار المعارف، ط1، 1980.
- 79- ويلسن كولن، اللامتيمي، دار الآداب، بيروت، ط3، 1982.
- المعاجم والقواميس
- 80- البستاني بطرس، محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1998.
- 80- الزبيدي مرتضى، تاج العروس، دراسة وتحقيق علي شيري، دار الفكر، بيروت مج2، 1994.
- 81- طه فرج عبد القادر وآخرون، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، دار غريب، القاهرة، ط2، 2003.
- 82- مان ميشيل، موسوعة العلوم الاجتماعية، ترجمة عادل مختار الهواري، سعد عبد العزيز، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999.
- 83- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مج5، 1997.
- 84- عبد النور جبور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، ط2، 1984.
- 85- وهبه مراد، المعجم الفلسفي، دار قباء للطباعة، القاهرة، ط4، 1998.
- 86- المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، ط1، 2000.
- 87- المنجد في اللغة والأعلام، منشورات دار المشرق، بيروت، ط36، 1997.

88- الموسوعة الأدبية الميسرة، أبو فراس الحمداني فتوة رومانية، منشورات دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر، العدد 4 1996.

92-Dictionnaire encyclopédique”Larousse” , Larousse Paris, Cedex 2001

### الدوريات

93- مجلة عالم الفكر، مج 10، العدد الأول، 1979، ص 43.

94- مجلة الفيصل، ع96، 1985، ص47.

95- مجلة التقويم والقياس النفسي والتربوي، ع6، 1995 ص 173.

96- مجلة عالم الفكر، ع1، 1979، ص18.

97- مجلة علم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،

مج27 ع2، 1998، ص 247.

### المواقع الإلكترونية

98- جعفر محمد راضي، الاغتراب في الشعر العراقي:

([http:// www.Awu-dam.org](http://www.Awu-dam.org) )

### الرسائل

103- قديد دياب، أبو الطيب المتنبي بين الاغتراب والثورة، رسالة ماجستير،

جامعة دمشق، 1987، ص28.

104- قرين عبد المالك، الولاء بين الزوال والاستمرار في الشعر العباسي،

رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2001، ص 07.

## الفهرس

5	* المقدمة
9	- توطئة
11	الفصل الأول: الاغتراب من منظور غربي
11	1 - الجذور اللغوية لمفهوم الاغتراب
12	أ - المعنى القانوني
13	ب - المعنى الاجتماعي
13	ج - المعنى السيكلوجي
14	د - المعنى الديني
15	2 - الجذور الفكرية لمفهوم الاغتراب
15	أ - الاغتراب قبل هيجل
15	* الاغتراب في الكتابات اللاهوتية الأولى
18	* الاغتراب في نظرية العقد الاجتماعي: جرو تيروس - هوبز - لوك - روسو
21	ب - الاغتراب عند معاصري هيجل فيخته - شيللر
24	ج - الاغتراب عند هيجل
24	* اغتراب الخضوع
26	* اغتراب الانفصال
26	د - الاغتراب بعد هيجل
26	- الاغتراب عند فويرباخ
28	- الاغتراب عند ماركس
31	- الاغتراب عند دوركايم
33	- الاغتراب عند فرويد
34	- الاغتراب في الفكر الوجودي
35	* سورين كيركيغورد

37	* مارتن هيدجر
38	* إيريك فروم
41	* ألبر كامو
42	* جون بول سارتر
44	* كولن ويلسن
42	الفصل الثاني: الاغتراب من منظور عربي
49	1 - مفهوم الاغتراب
49	أ - لغة
51	ب - اصطلاحا
51	ب-1) عند القدماء
57	* اغتراب الأوطان
58	* اغتراب الحال
59	* اغتراب المهمة
60	ب - 2) عند المحدثين
65	2- جذور الاغتراب في الشعر العربي
65	أ - الاغتراب في الشعر الجاهلي
72	ب - الاغتراب في شعر الفتوحات الإسلامية
75	ج - الاغتراب في الشعر الأموي
79	د - الاغتراب في الشعر العباسي
85	3- دوافع الاغتراب ودواعيه
85	أ - الارتحال في طلب الرزق
85	ب - فقدان الأهل أو الخلان
86	ج - الخلع
87	د - الجهاد في سبيل الله
87	هـ - الزهد والتصوف
88	و - التشريد والنفى
88	ل - الأسر

90	4 - أنواع الاغتراب
90	- النوع الأول: الاغتراب المكاني
91	- النوع الثاني: اغتراب النفس والروح والفكر
91	5- مظاهر الاغتراب
91	أ - الاغتراب عن الوطن
91	* اغتراب المهجرة
92	* اغتراب الأسر
93	ب - الاغتراب عن المجتمع
93	* الاغتراب والإحساس بالقهر والحرمان
95	* الاغتراب عن الآخرين
96	* الاغتراب عن قيم المجتمع وعاداته وأعرافه السائدة
98	* الاغتراب السياسي
101	ج - الاغتراب عن الذات
102	* الاغتراب عن الذات في شعر الكدية
104	* الاغتراب عن الذات في أشعار المجون
108	د - اغتراب الصوفية
112	6 - قهر الاغتراب ومحاولة تجاوزه
118	7- قائمة المصادر والمراجع
126	8 - الفهرس

